أدب الرحلة لدى لسان الدين ابن الخطيب

«خطرة الطيف أنموذجاً»

الدكتورة
حفيظة إسماعيل رمضان محمد على

الأستاذ المساعد بقسم الأدب والنقد
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية

المقدمة

الحمد لله الذى أسبغ علينا نعمه وذلل لنا الأرض نمشى فى مناكبها وإليه النشور، حمداً يليق بجماله وكماله وجلاله، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين من أوتى جوامع الكلم وبهر ببلاغته العرب والعجم، سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد...

فقد جذبنى أدب الرحلة وأسرتنى مشاهدات الأدباء فى تجوالهم فى هذا العالم الرحب الفسيح، التى صورتها لنا أقلامهم وكان يراعها مشاعرهم وأفكارهم ، وأخذت بلباب قلبى وفكرى، محققة لى المتعة المعرفية والفنية من خلال يراع أقلامهم، وصورهم الوصفية التى جمعت بين جماليات السرد، ودقة الوصف، وتدفق وحيوية وثراء الصور المترعة بجماليات الفن.

واستوقفنى أدب الرحلة عند علم من أعلام الفكر والأدب العربى، وسياسى عركته الحياة وعركها، عاش فى الغرب الإسلامى، وتجول فى مدنه وخبرها، وخبرته وأذقته حلوها وإقبالها، وعانى من مرارتها وصدها.

ألا وهو الأديب والمفكر والسياسى المحنك والمؤرخ العلامة «**لسان الدين ابن الخطيب**»، ابن الفردوس المفقود، الذى نشأ فى غرناطة فى العصر الغرناطى، وعاش أجمل مراحل حياته فى كنفها فى القرن الثامن الهجرى، الذى يمثل مرحلة من أخطر المراحل التى مر بها الأندلس الرطيب والمغرب العربى الذى تنقل بين ربوعه فى العصر المرينى، واستطاع أن يصور من خلال مشاهداته أدق تفاصيل كل منهما بفكر المحقق المدقق، ورؤية السياسى الحاذق، وتتابع فكر المؤرخ، وشمولية العلامة، وتصوير الأديب البارع، من خلال روح وثابة متدفقة مترعة بالحياة والحيوية.

فوجد فيها الجغرافيون ضالتهم فى تصوير جغرافية الأندلس والمغرب العربى فى القرن الثامن الهجرى، فنظموها فى سلك الأدب الجغرافى، وعدوها وثائق جغرافية.

واحتفى بها المؤرخون، ووجدوا أنها تؤرخ لمملكة غرناطة والمغرب العربى فى العصر المرينى، فعدوها وثيقة تاريخية ووجد فيها علماء الاجتماع ضالتهم المنشودة فى تصويرها للمجتمع الأندلسى والمغرب العربى فى هذه الحقبة، ورأى فيها الأدباء ضالتهم المنشودة وأدرجوها فى العديد من الفنون الأدبية.

واهتم المستشرقون بنشر العديد منها خاصة الأسبان، لأنها تمثل مرحلة من مراحل الصراع الإسلامى الأوربى، بقلم علم من أعلام الفكر والأدب فى مملكة غرناطة والدولة المرينية، فى القرن الثامن الهجرى الرابع عشر الميلادى، لعب دوراً عظيماً فى السياسة الغرناطية وفى الحملات الجهادية.

ولذا اخترت أن يكون أدب الرحلة لدى لسان الدين ابن الخطيب محور بحثى المعنون باسم «**أدب الرحلة لدى لسان الدين ابن الخطيب «خطرة الطيف أنموذجاً»** والذى يشمل: تمهيداً وثلاثة مباحث وخاتمة وثبت على النحو التالى:

التمهيد: ويتناول أدب الرحلة وأشهر الرحلات التى كان لها تأثيرها الممتد حتى عصر لسان الدين ابن الخطيب.

المبحث الأول: أدب الرحلة لدى لسان الدين ابن الخطيب بواعثه وأنواعه ومصادره.

المبحث الثانى: بناء رحلة «خطرة الطيف» وموقع السارد فيها.

المبحث الثالث: خطاب الرحلة سماته وخصائصه الفنية.

الخاتمة: وتشمل أهم النتائج والتوصيات.

ثبت المصادر والمراجع.

ثبت الموضوعات.

التمهيد

أدب الرحلة فن من الفنون الأدبية التى حظت بشهرة واسعة وذاعت مؤلفاته فى شتى العصور لدى جميع الأمم، ونال إقبالاً لدى متذوقى الأدب ومحبى الوصف فى شتى الأمم، لما يصوره من أحوال الرحالة، وأحوال البلدان التى زاروها، ولما يجسمه من مشاهد الطبيعة باختلاف صورها وأشكالها من بحار وأنهار وجبال ووهاد، وسهول ونجاد، وصحارى وجنان، ومن حيوانات وفوارات ومظاهر عمران، وتجليات الحضارة، وما تسلط عليه الأضواء من أوصاف الناس وعاداتهم وثقافاتهم[1]، وما احتوت عليه من عناصر الخلق والإبداع، من خلال أساليب تتنوع بين السرد والقص والحوار

(١) يراجع: أدب الرحلات/ حسين محمد فهيم ط سلسلة عالم المعرفة عدد (١٣٨) الكويت ١٩٨٩م.
- الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى/ محمد عبد الغنى حسن، ط دار المعارف ١٩٥٥م.
- أدب الرحلة عند العرب/ حسنى محمود حسين ط دار الأندلس بيروت ط الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- أدب الرحلات عند العرب فى المشرق، نشأته وتطوره حتى نهاية القرن الثامن الهجرى/ على محسن مال الله، ط مكتبة الإرشاد بغداد ١٩٧٨م
- أدب الرحلة بالمغرب فى العصر المرينى/ حسن الشاهدى منشورات عكاظ المغرب ١٩٩٠م.
- أدب الرحلة/ حسين نصار، ط الشركة المصرية العالمية للنشر، مكتبة لبنان ١٩٩١م.
- الجغرافية والرحلات عند العرب/ نقولا زيادة مجلة الفكر العربى العدد (٥١) الخاص بـ «الرحلات العربية والرحّلات».
- فيض العباب وإفاضة أقداح الآداب/ ابن الحاج النميرى تحقيق محمد بن شقرون بيروت دار الغرب الإسلامى ١٩٩٠م.
- أدب الرحلات تطوره فى الأدب العربى/ أحمد أبو سعدة، ط منشورات دار الشرق الجديدة ١٩٦٢م.
- تاريخ الفكر الأندلسى/ أنخل جنثالث بالنثيا نقله عن الإسبانية حسن مؤنس، ط الأولى، ط مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٥م. =

والوصف، وترتفع إلى عالم الأدب وتنأى به عن التقريرية والأسلوب الجاف، وقد ازدهر هذا الفن فى أدبنا العربى وتراثنا الإسلامى عبر تاريخه الحافل.

واحتفى به كبار الكتاب فى الشرق والغرب الإسلامى[١]، وأكثروا فى التأليف فيه، وسجلوا من خلال رحلاتهم ومشاهداتهم فى أرجاء المعمورة أبدع الصور واللوحات الفنية والوصفية من مرائى الكون والطبيعة، وطبائع الشعوب التى قدر لهم أن يتفاعلوا معها.

ومن أشهر هذه الرحلات التى ظهرت فى المشرق وكان لها تأثيرها الممتد فى فن الرحلة حتى عصر ابن الخطيب وما يليه، **تلك الرحلات ذات الهدف الجغرافى** التى تصف العالم الإسلامى والعوالم المجاورة لها، والممالك والطرق المؤدية إليها، مع سرد كثير من المعلومات التاريخية والعمرانية، وما بديارهم من آثار وعجائب وقصور، وما عندهم من أساطير وخرافات، وبذلك أصبحت كتبهم كتباً أدبية تعتمد على المشاهدة، وحكاية ما رآه الجغرافى بعينه، وسمعه بأذنه، فإذا رحلاتهم تمثل مرحلة مهمة من مراحل أدب الرحلة وصورة من صور النصوص الرحلية التى تندرج تحت أدب الرحلة أكثر من أن تكون كتبا جغرافية بالمعنى الذى نفهمه الآن، ولذا أطلق عليه المحدثون الأدب الجغرافى لبروز الوصف الجغرافى فيه[٢].

- = مشوار كتب الرحلة قديماً وحديثاً/ سيد حامد النساج، ط مكتبة غريب للطباعة والنشر القاهرة.
- كتب الرحلات فى المغرب الأقصى/ عواطف بنت نواب، ط دارة الملك عبد العزيز بالرياض ٢٠٠٨م.

(١) تراجع المراجع السابقة.

(٢) تاريخ الأدب الجغرافى العربى/ أغناطيوس يوليا نوفتش كراتشكوفسكى ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، ط دار الغرب الإسلامى بيروت لبنان ط الثانية ١٩٨٧م، ص٢٠.

منها: «المسالك والممالك» «لابن خرداذبة»[١] الذى كان له تأثيره فى العديد من الرحالة مثل: «ابن الفقيه الهمذانى» فى كتابه (كتاب البلدان)[٢] الذى دعمه بالكثير من المعلومات، سالكاً فيه طريقة الجاحظ فى الاستطراد والإمتاع، و«اليعقوبى» فى كتابه (البلدان)[٣] الذى تميز عن كتاب «ابن خرداذبة» ببيانه الأدبى، و«أبو على ابن رسته» الذى كتب فى الأدب الجغرافى فى الجزء السابع من كتابه (الأعلاق النفيسة)[٤] و«ابن حوقل» فى مؤلفه (المسالك والممالك)[٥]، وكذلك «المقدسى» فى كتابه (أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم)[٦]، و «الجيهانى» فى كتابه (المسالك فى معرفة الممالك)، الذى قال عنه ابن حوقل: «وكان لا يفارقنى كتاب «ابن خرداذبة وكتاب الجيهانى»[٧]، و«المسعودى» فى (مروج الذهب ومعادن الجوهر)[٨].

---

(١) المسالك والممالك/ ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله) (ت. ٢٨٠هـ)، ط دار صادر أفست ليدن، بيروت ١٨٨٩م.

(٢) كتاب البلدان/ أبو عبد الله أحمد بن اسحاق الهمذانى المعروف بابن الفقيه، (ت. ٣٦٥هـ)، تحقيق يوسف الهادى، ط الأولى، ط عالم الكتب بيروت ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

(٣) كتاب البلدان/ أحمد بن إسحاق (أبى يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبى، ط دار الكتب العلمية -بيروت ١٤٢٢هـ.

(٤) الأعلاق النفيسة/ أبو على عمر بن رسته الأصبهانى، (ت. ٣٠٠هـ) طبعة ليدن ١٨٩٢م.

(٥) المسالك والممالك (صورة الأرض)/ أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادى الموصلى، ط دار صادر أوفست ليدن بيروت ١٩٣٨م.

(٦) أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم/ أبو عبد الله بن أحمد المقدسى البشارى، ط مكتبة مدبولى، القاهرة، ط الثالثة ١٤١١هـ-١٩٩١م.

(٧) الكتاب مفقود، وقد أورد أجزاء منه كل من ابن حوقل والمقدسى.
يراجع: ابن خرداذبة/ كوركيس عواد، مجلة الرسالة العدد (٤٥٦) ٣/٣٠، ١٩٤٢م.

(٨) مروج الذهب ومعادن الجوهر/ المسعودى، (ت. ٣٤٦هـ)، تحقيق أسعد داغر، ط دار الهجرة ١٤٠٤هـ.

ومن كتب الرحلات التى كانت هدفها الرحلة التى ألفت فى **بداية القرن الرابع الهجرى** (٣٠٩هـ) رحلة ابن فضلان للبلغار ووصفه للجزر والروس[١]، تلك الرحلة الرسمية التكليفية التى كلف بها «المقتدر» ابن فضلان ليكون على رأس بعثة دينية، استجابة لطلب ملك البلغار مع انتشار الإسلام فى بلغارية. وتعد الرحلة رمزاً لرحلات العرب فى أوربا.

وفى القرن الخامس الهجرى، رحلة «البيرونى» إلى الهند «تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة»[٢]، والتى صاحب فيها السلطان «الغزناوى» فى فتوحاته للهند، واستقر فيها أربعين عاماً.

وفى القرن السادس رحلة «أسامة بن منقذ» بين الصليبيين التى أوردها فى كتابه (الاعتبار)[٣]، ورحلة «عبد اللطيف البغدادى» فى مصر والتى ضمنها كتابه (الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر)[٤]، هذا الكتاب الذى يقول عنه شوقى ضيف أنه طرفة من طرف كتب أدب الرحلات[٥].

---

(١) رحلات ابن فضلان إلى بلاد الترك والروس والصقالبة/ أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد، ط دار السويدى للنشر أبو ظبى، ط الأولى ٢٠٠٣م.
– يراجع: الرحلات/ شوقى ضيف ط الثالثة ط دار المعارف ١٩٧٩م، ص٦٥.

(٢) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة/ أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى الخوارزمى العلامة الرحالة (ت. ٤٤٠هـ) ط عالم الكتب بيروت لبنان ط ٢، ١٤٠٣هـ.

(٣) الاعتبار/ أبو مظفر أسامة بن مرشد ابن منقذ، (ت.٥٨٤هـ)، تحقيق وتقديم قاسم السامرائى، ط دار الأصالة للثقافة والإعلام ١٩٨٧م.
– الرحلات/ شوقى ضيف ص٥٦.

(٤) الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر/ عبد اللطيف البغدادى، دراسة وتحقيق على محسن عيسى مال الله مط التعليم العالى ببغداد، منشورات دار الحكمة للنشر والترجمة والتوزيع بغداد ١٤٠٧هـ–١٩٨٧م.

(٥) الرحلات/ شوقى ضيف، ص٦٠.

ورحلة «الهروى» السائح (ت.٦١١هـ)[١] التى طوَّف فيها بالعلم الإسلامى وزار القسطنطينية وصقلية وغيرها من جزر بحر الروم وعنى بتدوين تطوفه وخاصة ما شاهده من معالم الحضارة، وما سمعه من الأساطير والخرافات فيها، واهتم بوصف مصر وآثارها ومعابدها وقبور فراعينها وما بها من طلاسم وأساطير[٢].

وفى الغرب الإسلامى «الأندلس وبلاد المغرب العربى» كثر الرحالة وتعددت الرحلات بعد القرن الخامس الهجرى، وتميز فن الرحلة بالاتساع والإبداع وازدهر ازدهاراً كبيراً[٣] حتى يمكن أن نقول أن أهم ما شارك به الغرب العربى فى بناء الثقافة العامة مع الأبحاث الفقهية هو فن الرحلة[٤].

ومن أشهر هذه الرحلات **رحلة «ابن العذرى»**[٥]، **ورحلة أبى عبيد البكرى الأندلسى**[٦] الذى عاش خلال **القرن الخامس الهجرى** أكبر رحالة عرفته الأندلس، والذى قصر رحلاته على مدنها[٧].

ومن أشهر الرحلات فى **القرن السادس الهجرى**، رحلة الإدريسى «نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق»[٨].

---

(١) الإشارات إلى معرفة الزيارات/ أبو الحسن على بن أبى بكر بن على الهروى (ت٦١١هـ) ط مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، ط الأولى ١٤٢٣هـ.
– الرحلات/ شوقى ضيف، ص٢٧

(٢) الرحلات/ شوقى ضيف، ص٢٧.

(٣) الرحلات السفارية المغربية/محمد الفاسى، مجلة البينة عدد (٦) السنة الأولى ١٩٦٢م،ص٢٠.

(٤) خصائص الأدب الجغرافى فى المغرب، أحمد حدادى، ندوة حول جوانب الأدب فى المغرب الأقصى، مجلة جامعة محمد الأول سلسلة ندوات ومناظرات المغرب١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م.

(٥) ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك/ لابن العذرى عبد العزيز الأهوانى ط معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ١٩٦٥م.

(٦) المسالك والممالك/ أبو عبيد بن عبد العزيز البكرى الأندلسى (ت.٤٨٧هـ)، ط دار الغرب الإسلامى ١٩٩٢م. (وطبع جزء منه باسم المغرب فى ذكر إفريقيا والمغرب).

(٧) تاريخ الأدب الجغرافى: كراتشكوفسكى، ص٢٩٦، ٢٩٧.
– جغرافيا الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك/ أبو عبيد بن عبد العزيز البكرى، تحقيق عبد الرحمن على الحجى ط دار الإرشاد بيروت ١٩٧٨م.

(٨) نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق «صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس»/ أبو عبد الله بن محمد الإدريسى (ت ٥٦٠هـ)، ط مط بريل ليدن ١٩٦٨م.

ورحلات أبى حامد الغرناطى فى القرن السادس، رحلة «تحفة الألباب ونخبة الإعجاب» التى تمثل إضافة حقيقة لأدب الرحلات(١)، والتى يقول عن مؤلفها جمال حمدان (يجوز أن نعده سندباد بحر وبر معاً)(٢)، وتهتم بالجانب الاسطورى والجغرافى.

ورحلة «المعرب عن بعض عجائب المغرب»(٣)، والتى سميت بـ «نخبة الأذهان فى عجائب البلدان»(٤)، ورحلة «المغرب فى بعض عجائب البلدان»(٥).

ورحلة «ابن جبير»(٦) الرحالة الكاتب الشاعر، تلك الرحلة التى توجه بها نحو أداءفريضة الحج، وأتبعها برحلات أخرى(٧)، فىأواخر القرن السادس الهجرى، والتى يعدها «كراتشكوفيسكى» «بحق ذروة ما بلغه نمط الرحلة فى الأدب العربى»(٨).

ويقرر حسين مؤنس أن ابن جبير بلغ بها ذروة سامقة فى أدب الرحلات»(٩).

---

(١) تحفة الألباب ونخبة الإعجاب/ أبو حامد محمد الغرناطى، تحقيق قاسم وهب ط دار السويدى للطبع والنشر، الإمارات، ودار فارس للنشر عمان ط أولى ٢٠٠٣م، ص١٧٠ –١٨٠.

(٢) يراجع: تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس/ حسين مؤنس بقلم جمال حمدان بمجلة المجلة العدد(١٤٥) سنة ١٩٦٩م.

(٣) المعرب عن بعض عجائب المغرب/ أبو حامد الغرناطى، تحقيق اينغرد بيخاراتو، ط المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد ١٩٦١م.

(٤) المرجع السابق ص٢٩–٣٠.

(٥) المرجع السابق ص٣٠.

(٦) رحلة ابن جبير/ أبو الحسن بن محمد بن أحمد الكنانى (ت٦١٤هـ)، ط دار صادر بيروت للطباعة والنشر ١٩٦٤م.

(٧) تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار/ أبو الحسن محمد بن أحمد الكنانى الشهير بـ«ابن جبير»، ط دار صادر بيروت ١٩٥٩م.

(٨) تاريخ الأدب الجغرافى/ ص٣٣٥.

(٩) الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس/ ص٥١٩.

وقد أشاد بها ابن الخطيب قائلاً: أنه «صنف الرحلة المشهورة (...) وهو كتاب مؤنس ممتع مثير سواكن الأنفس إلى تلك المعالم»[١]، وقال عنها المقرى: «له رحلة مشهورة بأيدى الناس»[٢].

ورحلات ابن سعيد الغرناطى فى القرن السابع الهجرى الذى جال فى بلاد الأندلس والمغرب العربى إلى مصر وكتابه «فى الأقاليم السبع»، والذى عبر فيه عن حبه لوطنه الأندلس بأشعار عاطفية عميقة تمس الوجدان[٣]، والتى سجلها فى كتاب «المُغرب فى حلا المغرب»[٤].

ورحلته الثانية «عدة المستنجز وعقلة المستوفز» والتى انتقل فيها من تونس إلى الشرق والتى أثنى عليها المقرى بقوله: «وأورد فى هذا الكتاب غرائب وبدائع»[٥]، ورحلته الثالثة «النفحة المسكية فى الرحلة المكية»[٦].

ورحلة «ملء العيبة بما اجتمع بطول الغيبة»[٧] لـ «ابن رشيد السبتى» التى انتهت عام (٦٨٦هـ).

ورحلة العبدرى المسماة بـ «الرحلة المغربية»[٨]، التى بدأت (٦٨٨هـ).

---

(١) الإحاطة فى أخبار غرناطة/ لسان الدين ابن الخطيب تحقيق عبد الله عنان، ط مكتبة الخانجى بمصر ١٣٩٤هـ-١٩٨٨م، جـ٢ ص٢٣٩.

(٢) نفح الطيب فى أخبار الأندلس الرطيب ووزيرها لسان الدين ابن الخطيب/ أحمد بن المقرى التلمسانى، تحقيق إحسان عباس، ط دار صادر بيروت ١٣٩٤هـ-١٩٨٨م، جـ٢ ص٣٨٦.

(٣) يراجع: نفح الطيب/ للمقرى جـ٢ ص٢٧٢-٢٧٣.

(٤) المرجع السابق/ جـ٢ ص٢٦٢ - ٢٧١.

(٥) المرجع السابق/ جـ٢ ص٣٦٨.

(٦) المرجع السابق/ جـ٢ ص٢٧٣.

(٧) ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة فى الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة المعروفة «برحلة ابن رشيد السبتى»/ ابن رشد السبتى، (ت ٧٢١هـ) تحقيق محمد الحبيب بن الخواجة، ط الدار التونسية للنشر ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

(٨) رحلة العبدرى، المسماة الرحلة المغربية/ محمد العبدرى البلنسى، ط دار سعد الدين، دمشق ٢٠٠٥م.

وظهر أدب الرحلة فى الأندلس فى قالب الرسالة وتعددت الرسائل فى أدب الرحلات فى عهد ملوك الطوائف مثل رسالة (طى المراحل) «محمد بن مسلم»، ورسالة أبى بحر صفوان ورسالة ابن مغاور «ذكر المراحل»، ورسالة أبو المطرف ابن عميرة التى وصف فيها تنقله بين مدن الأندلس(١).

وفى القرن الثامن الهجرى الذى عاصره ابن الخطيب، شهد أدب الرحلة كماً هائلاً من الأعمال المتميزة فى هذا الفن منها «رحلة ابن محمد التجانى» المشهورة بـ«رحلة التجانى» والتى خرج فيها من تونس لأداء فريضة الحج عام (٧٠٦هـ)(٢).

ورحلة ابن بطوطة «تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار»(٣)، وهى أوسعهم رحلة، والذى أطلق عليه «مسافر العرب والعجم»، وعُدَّ أعظم رحالة عرفه العرب فى تاريخهم الوسيط(٤)، الذى التقى به «لسان الدين ابن الخطيب» فى الأندلس والمغرب العربى وكان بينهما العديد من المراسلات.

ورحلة ابن الحاج الغرناطى «فيض العباب وإفاضة قداح الآداب فى الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب»، وكانت لأسباب دينية وسياسية فهى رحلة تكليفية رسمية

(١) ابن مغاور الشاطبى «حياته وآثاره»/ محمد بنشريفة ط مط النجاح الجديدة بالمغرب ط ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م، ص٨٩-٩٤.

(٢) رحلة التجانى/ أبو محمد عبد الله بن محمد التجانى قدم لها حسن حسنى عبد الوهاب، ط الدار العربية للكتاب ليبيا، تونس ١٩٨١م.

(٣) تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار/ أبو عبد الله اللواتى المعروف بـ«ابن بطوطة»/ راجعه درويش الجويدى مط المكتبة العصرية صيدا، بيروت ٢٠٠٤م.

(٤) الرحلات/ شوقى ضيف ص٩٦.

قام بها مع السلطان أبى عنان المرينى للقضاء على فتن الأعراب فى المناطق الشرقية، وكانت على مرحلتين من فاس إلى قسنطنية(١)، ثم الزاب والرجوع إليها.

ورحلة «ابن خلدون» «التعريف بابن خلدون ورحلاته شرقاً وغرباً»(٢)، وهو يصور لنا رحلاته على طول الشاطئ الإفريقى إلى الشام ومرافقته للسلطان الناصر وتصديه لتيمور لانك وجيوشه بالشام(٣)، والذى جمعته صداقة قوية بلسان الدين ابن الخطيب.

والمتتبع لهذه الرحلات يجد أن بواعثها وأغراضها متعددة ومتداخلة فلم تكن محدودة الوجهة أو الغاية، فكان منها ما اتجه وجهة علمية إما للتلقى والتحصيل، أو اللقاء بأعلام البلدان الأخرى والمناقلة عنهم.

ومنها ما اتجه وجهة دينية تعبدية، ومنها ما اتجه إلى القيام برحلة تكليفية ومهام رسمية، وبعضها كان ينحو نحو الوجهة الحرة سواء أكان لغرض التجارة أم السياحة والاستجمام والمتعة بالإضافة إلى أغراض أخرى عديدة تطرق إليها العديد من الباحثين(٤).

وهذا التنوع فى أغراض الرحلة وبواعثها قد أعطى فن الرحلة قدراً هائلاً من الحيوية والثراء وخاصة تلك الرحلات ذات الطابع الفنى، التى تناولتها وعبرت عنها

---

(١) فيض العباب وإفاضة قداح الآداب فى الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب/ ابن الحاج الغرناطى أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله النميرى، ت. (٧٤٤هـ) دراسة محمد بن شقرون ط الرباط بالمغرب، ١٩٨٤م، و (قسنطينة) مدينة عريقة فى شمال شرق الجزائر، (الزاب) نهر من روافد دجلة بشمال العراق.

(٢) التعريف بابن خلدون ورحلاته شرقاً وغرباً/ ابن خلدون علق عليها محمد بن تاويت الطنجى، وحررها وقدم لها نورى الحراد ط دار السويدى للنشر أبو ظبى، ودار الفارس بعمان، الأردن ٢٠٠٣م.

(٣) يراجع: أدب ابن خلدون/ أحمد الحوفى مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة جـ٣٠ سنة ١٩٧٢م، ص٣٠ :٥٥.

(٤) يراجع: الإكسير فى فكاك الأسير/ محمد بن عثمان المكناسى، حققه وعلق عليه محمد الفاسى، منشورات المركز الجامعى للبحث العلمى الرباط ١٩٦٥م (المقدمة«ص») يراجع تقسيم المكناسى للرحلات. =

أقلام الأدباء المبدعين ذوى الإحساس المرهف والتصوير الفنى، الذين اعتلوا متون البلاغة والخيال محلقين فى سماء الفن راسمين لوحات ناعمة متناعمة بعيداً عن التقريرية التى تتسم بها أعمال الرحالة من غير الأدباء.

ولعل كاتبنا ابن الخطيب هو آخر الكتاب الأندلسيين الذين ولعوا بهذا النوع من الرسائل وأدب الرحلة كما أشار الدكتور محمد بنشريفة[1].

ولعل إطلاعه على العديد من الرحلات وإعجابه بها، ومعاصرته لابن بطوطة وصداقته له وهو «مسافر ورحالة العرب والعجم»، ورغبته فى إحراز التفوق فى هذا المجال، وشوقه إلى زيارة بيت الله الحرام لأداء الفريضة، والولع بالقيام برحلة خارج إطار الأندلس والمغرب العربى، وإن لم يتحقق له هذا، وحالت السياسة بينه وبين تحقيق هدفه، فقد استطاع أن يدلو بدلوه فى هذا الفن الرحلى من خلال أعماله وأن ينوع فى قالبها الأدبى، وإن كان – ما وصل إلى أيدينا – قد حصرها فى مشاهداته التى لم تتعدى المدن الغرناطية (الأندلسية) والمرينية بالمغرب العربى.

❁❁❁❁

= – أدب الرحلة/ حسين نصار، ص٤٠-٤٩.

– أدب الرحلات الأندلسية والمغربية/ حسن الشاهدى، ص٢١.

– أدب الرحلة فى التراث العربى/ فؤاد قنديل، ط ٢ مكتبة الدار العربية، القاهرة ٢٠٠٢م.

(١) ابن مغاور الشاطبى حياته وآثاره/ محمد بنشريفة مط النجاح الجديدة بالمغرب ١٤١٥هـ – ١٩٩٩م، ص٩٤.

المبحث الأول

أدب الرحلة لدى لسان الدين ابن الخطيب

بواعثه وأنواعه ومصادره

ومن خلال الإطلالة السريعة على حياة ابن الخطيب[1]، نجد أن رحلات ابن الخطيب كثيرة ومتنوعة، منها رحلات داخلية أى داخل مملكة «غرناطة» ومنها رحلات خارجية للعدوة المغربية «لبلاد بنى مرين» التى ترتبط بالمغرب بعرى وثيقة.

(١) يراجع ترجمة لسان الدين ابن الخطيب فى:

- الإحاطة فى أخبار غرناطة/ لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق محمد عبد الله عنان، ط مكتبة الخانجى بمصر ١٤٠٨هـ -١٩٨٧م، جـ٤ ص٤٣٨، و «المقدمة».
- تاريخ ابن خلدون المسمى «العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر/ عبد الرحمن بن خلدون الحضرمى المغربى، ط دار الكتاب اللبنانى – بيروت لبنان ١٩٥٩م، ص٦٨٩: ٧١٠.
- ابن خلدون ورحلته غرباً وشرقا/ ابن خلدون ص١٤٩ -٢٣١.
- نثير فرائد الجمان فى نظم فحول الزمان/ إسماعيل بن الأحمر، تحقيق محمد رضوان الداية، ط دار الثقافة – بيروت لبنان ١٩٦٧م، ص٢٤٢-٢٩٢.
- إيضاح المكنون فى كشف الظنون، هدية العارفين/ إسماعيل البغدادى، ط استانبول بتركيا ١٩٥١م، جـ١ ض٢١٠-٢١٩.
- نيل الابتهاج بتطريز الديباج/ التنبكتى إشراف عبد الحميد، الهرامة، ط دار الكاتب، طرابلس، ليبيا ٢٠٠٠م، ص٤٤٥.
- جذوة الاقتباس فى ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس/ أحمد بن القاضى المكناسى، ط دار المنصور بالرباط ١٩٧٣م، جـ١ ص٣٠٨-٣١١.
- أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض/ أحمد المقرى، ط لجنة التراث الإسلامى بالمغرب ١٩٨٠م، جـ١ ص١٨٦ ،٢٣٦.
- درة الحجال فى أسماء الرجال/ أحمد محمد المكناسى، تحقيق محمد الأحمدى أبو النور، ط دار التراث بمصر، ١٩٧٠م، جـ٢ ص٢٧١-٢٧٤.
- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس/ محمد بن جعفر الكتانى، ط المطبعة الحجرية بفاس بالمغرب، د.ت. جـ٣ ص١٨٧-١٩١.
- الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام/ المراكشى، ط المطبعة الملكية بالرباط ١٩٧٤م، جـ٣ ص٣٥٢، جـ٤ ص٤٠ -٤٣.

ورحلات للممالك النصرانية المجاورة المعادية لـ«غرناطة» مثل «قشتالة» و«ليون» وغيرها[1]، وكان يتوق شوقاً للقيام برحلة إلى بلاد الحجاز؛ لأداء فريضة الحج ولزيارة الأماكن التى حل بها رسول الله ﷺ تلك الرحلة الدينية التى ولع بها الغرب الإسلامى، خاصة المغرب العربى والتى يتوق لها كل مسلم، ولكن شاء الله تعالى أن تحول ظروفه من أن تمكنه من القيام بها أكثر من مرة.

ومن خلال المعرفة بولع «ابن الخطيب» بالكتابة والتدوين لكل شىء يمر به، نرى أن «ابن الخطيب» قد دون تلك السفريات أو الرحلات التى قام بها، خاصة وأن هذه الرحلات رحلات مهمة نجد صداها فى ترجماته الطولية والعرضية والذاتية والغيرية من خلال تتبع أعماله[2]، ولكن يبدو أن المحنة التى تعرض لها ابن الخطيب وأودت

- الاستقصا لأخبار دور المغرب الأقصى/ أحمد بن خالد الناصى، تحقيق جعفر الناصى، ومحمد الناصرى، ط الدار البيضا، ودار الكتاب اللبنانى ١٩٥٤م، جـ٣ ص١٩٢. =
= - ابن الخطيب من خلال كتبه/ محمد بن أبى بكر التطوانى، معهد مولاى الحسن بالمغرب ١٩٥٤م، جـ١ ص٤٩.
- لسان الدين ابن الخطيب فى آثار الدارسين/ حسن عبد الكريم الواركى، ط منشورات عكاظ، الرباط ١٩٩٠م.

(١) يراجع: قول ابن حجر العسقلانى «وذكر الشيخ «محمد القصبانى» أن «ابن الأحمر» وجهه رسولاً إلى ملك الفرنج؛ فلما أراد الخروج أخرج له كتاباً من ابن الخطيب بخطه يشتمل على نظم ونثر فى غاية الحسن والبلاغة، فأقرأه إياه فلما فرغ من قراءته قال: مثل هذا يقتل؟! وبكى حتى بل ثيابه».
– الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة/ أحمد بن على بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق محمد سيد جاد الحق، ط دار الكتب الحديثة بالقاهرة ١٣٨٥هـ-١٩٦٦م، جـ٤ ص٩١.

(٢) يراجع على سبيل المثال: ترجماته فى «الإحاطة فى أخبار غرناطة»، ورسائله فى ريحانة الكتاب، ونجعة المنتاب/ للسان الدين ابن الخطيب، تحقيق محمد عبد الله عنان، ط المطبعة العربية الحديثة – الناشر مكتبة الخانجى بالقاهرة ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

بحياته، والتى صاحبت التخلص من مؤلفاته بحرقها، قد أودت بالعديد من رحلاته، ولا يجد الباحثون سوى أربعة أعمال تدون وتسجل لرحلاته فى الأندلس «غرناطة» والمغرب العربى «البلاد المرينية»، التى امتدت من المغرب الأقصى إلى تونس وتلمسان بالجزائر. تلك الأعمال التى تسجل مشاهداته بقلم الأديب المبدع، والشاعر الحساس البارع، والمؤرخ المتتبع الموثِّق، والناقد الدقيق، والجغرافى، وعالم الحضارة والاقتصادى، والسياسى الأريب من خلال رحلته الغرناطية «خطرة الطيف فى رحلة الشتاء والصيف»(١)، ورحلته المغربية «نفاضة الجراب فى علالة الاغتراب»(٢)، و«معيار الاختيار فى ذكر المعاهد والديار»(٣)، الذى جمع فيه بين وصفه للمدن الأندلسية والمغربية التى تجول فيها، و«مفاخرات مالقة و سلا»(٤)، الذى وازن فيه بين مدينتين شهيرتين أحدهما أندلسية والأخرى مغربية من خلال مشاهداته ومعايشته لكل منهما.

فإن كانت الرحلة ومشاهداته هى التى دارت حولها تلك الأعمال وهى موضوعها إلا أن تفرد وتميز «ابن الخطيب» أبى إلا أن يعبر عنها من خلال قوالب

(١) يراجع نصها الوارد فى: ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب/ جـ٢ ٢٤٨ : ٢٦٤.
- مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب فى بلاد المغرب والأندلس (مجموعة من رسائله)/ أحمد مختار العبادى ط جامعة الإسكندرية ١٩٥٨م، ص٢٥: ٥٢

(٢) يراجع: نفاضة الجراب وعلالة الاغتراب/ جـ٢ تحقيق أحمد مختار العبادى ط دار الكاتب العربى، مصر ١٩٥م، جـ٣ تحقيق سعدية فاغية ط المطبعة الجديدة بالمغرب ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م.

(٣) يراجع: معيار الاختيار فى ذكر المعاهد والديار/ لسان الدين ابن الخطيب تحقيق ودراسة محمد كمال شبانة ط مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م.
- ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٧٩ :٣١٦.
- مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٦٩: ١١٥.

(٤) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٣٥٥: ٣٦٠.
مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٥٧: ٦٦.

فنية متنوعة تتداخل فيها الأجناس والفنون مطبقاً لهذا التداخل الذى ينادى به النقد الغربى الحديث فأثرى به أعماله الرحلية والأدبية.

تلك السمة التى تعد أهم سمة من سمات أدبنا العربى التى أكسبته الحيوية والتدفق والثراء عبر عصوره المختلفة.

فنجد «مفاخرات مالقة وسلا» على الرغم من سرديتها ونثريتها المطلقة يمكن تصنيفها ضمن «رسائل المفاضلات بين المدن»[١]، أو إفرادها ضمن «فن المفاخرات»[٢]، أو «المنافرات»[٣]، أو إدراجها فى فن المقامات[٤]، «المقامة البلدانية»، **أو ضمن «المشاهدات»**[٥]، ما دام الكاتب أقر بأنها نتيجة مشاهداته وإقامته فيهما لأسفاره ورحلاته بين البلدين. كما يمكن إدراجها ضمن «سردياته» خاصة وهى مبنية على الوصف السردى المباشر، والنص يتسع لكل منها.

ويمكن إدراج «**معيار الاختيار فى ذكر المعاهد والديار**» ضمن الفن المقامى[٦] بمضمونه التجديدى الذى أبدع فيه مؤلفه ضمن «مقامة الرحلة ووصف البلدان»، ويمكن إدراجه توسعاً فى «أدب الرحلة»[٧]، لأنه يسرد رحلات البطل إلى أنحاء المعمورة ويخص من خلالها المدن الأندلسية والمغربية من خلال مشاهداته لكلٍ منها

(١) يراجع: أدب الرسائل فى الأندلس فى القرن الخامس الهجرى/ فايز فلاح القيسى، ط دار البشير، عمان، الأردن ط الأولى ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م، ص٢٠٩..

(٢) وفقاً للعنوان الذى وضعه لها مؤلفها «مفاخرات مالقة وسلا».

(٣) منافرات العدوتين (نص جديد)/محمد بنشريفة، مجلة كلية الآداب بالرباط، العدد (١) يناير ١٩٧٧م.

(٤) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٣٥٥، وأوردها ابن الخطيب ضمن المقامات.

(٥) يراجع: مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٧، ١١، ص٥٧ : ٦٦.

(٦) وقد أدرجه لسان الدين فى فن «المقامات» فى كتابه «ريحانة الكتاب».
- ريحانة الكتاب/ تحقيق محمد عنان جـ٢ ص٢٧٩ : ٣١٦.

(٧) وقد أدرجه لسان الدين فى فن المقامات فى غرض الرحلة بعد أن قال: «ومن ذلك (المقامات) كلامٌ فى الرحلة «الريحانة/جـ٢ص٢٦٤، والذى اتبعه بقوله عند عرضه لمعيار الاختيار: «ومن ذلك الكتاب المسمى بمعيار الاختيار» الريحانة/ جـ٢ ص٢٧٩.

بمسرد وصفى تصويرى حى يشمل موقعها الجغرافى ومعالمها الحضارية والاجتماعية والاقتصادية، وسمات أهلها وقاطنيها، ومحاسنها وسلبياتها متوخيا الإنصاف ليكون معياراً يستأنس به الذى يريد الإقامة الدائمة أو المرتحل الذى يبغى الإقامة المؤقتة فى إحدى تلك المدن، ويكون له مرشداً ومعيناً وإن اتخذ القالب المقامى والإطار السردى التخيلى غير المباشر، واللغة الشاعرية الثرية التى تقربه من حيث الشكل والبناء الفنى إلى فن المقامة وإن كان مضمونها التجديدى يشمل الرحلة.

ولذا وصفه لسان الدين ابن الخطيب، وهو بصدد الحديث عن مؤلفاته التى ألفها فى «سلا» بقوله: « وكتاب معيار الاختيار فى ذكر المعاهد والديار، وهو كتاب غريب مصور لم يسبق متقدم إلى غرضه»(١).

ولعل المقامة باتساعها الفنى، وتداخل جميع فنون الأدب فيها، وسردها التخيلى وزخمها التصويرى والبديعى والرحلة بزخمها الثقافى، الذى انعكس على وصفه للمدن، الذى تداخلت فيه شتى ضروب الأدب والتاريخ والجغرافيا والاجتماع والاقتصاد والحضارة، قد جعل هذا النص سرداً ثقافياً(٢) محملاً بأحوال المجتمعات وعادات الناس وتقاليدهم ومظاهر حضاراتهم وشعائرهم الدينية وخرافاتهم وأساطيرهم، ومصدراً شاملاً يسجل شتى جوانب الحياة مع الوصف الفنى المتميز بنزعته السردية، وأسلوبه التصويرى البديعى، ولعل تداخل هذين الجنسين الأدبيين السرديين فى معيار الاختيار هو ما أكسبه ذلك التميز، وإن غلب الجانب المقامى عليه، ولعل هذا ما جعل مؤلفه يصفه بأنه «غريب مصور...».

ورحلته الغرناطية «خطرة الطيف فى رحلة الشتاء والصيف» والتى تجمع بين أسلوب المقامة وأدب الرحلات والتى يغلب فيها الطابع الرحلى على المقامى وإن تداخلا

(١) نفاضة الجراب/ تحقيق العبادى جـ٢ ص١٢٢.

(٢) أدب الرحلة بوصفه سرداً ثقافيا/ عبد الله إبراهيم جريدة الرياض بالمملكة العربية السعودية عدد الخميس ٢ صفر ١٤٣٢هـ، ٦ يناير ٢٠١١م، العدد (١٥٥٣٦).

معاً باتساع فضائهما الفنى والثقافى. والتى تقولبت بقالب يقترب من الرسالة «رسالة الرحلة» التى ظهرت فى الأندلس فى عصر الطوائف[١] وأحياها وعمقها ابن الخطيب «بخطرة الطيف» فى القرن الثامن الهجرى، مما جعل محمد بنشريفة يقول: «ولعل ابن الخطيب هو آخر الكتاب الذين ولعوا بهذا النوع – رسائل الرحلة –، ومن أشهر ما كتب فى ذلك رسالته التى سماها خطرة الطيف فى رحلة الشتاء والصيف»[٢].

و«**نفاضة الجراب وعلالة الاغتراب**» أو «الرحلة» كما أطلق عليها مؤلفها[٣] التى تتماس فيها الرحلة مع المذكرات والسيرة الذاتية[٤]، وتتداخل فيها مع فن المقامة فى بعض أجزائها ومن ذلك رحلته الفرعية التى أوردها فى النفاضة[٥] واتسم أسلوبها

(١) ابن مغاور الشاطبى (حياته وآثاره)/ص٨٩ :٩٤.
(٢) المرجع السابق/ ص٩٤.
(٣) يراجع الإحاطة فى أخبار غرناطة/ جـ٤ ص٢١٧.
– ولذا عمد أبو عبد الله بن غازى المكناسى إلى الجمع بين العنوانين معاً حين أورد تراجم علماء التقى بهم «ابن الخطيب» فى مكناس وعلق عليها بقوله: «حسبما ذكر فى رحلته المسماة بنفاضة الجراب فيمن بقى من الأصحاب».
–الروض الهتون فى أخبار مكناسة الزيتون/ ابن غازى، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط المطبعة الملكية، المغرب، ١٤٠٨هـ–١٩٨٨م، ص٤٤، ٦٦.
(٤) أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى القرن التاسع الهجرى/ نوال عبد الرحمن الشوابكة، ط الأولى، ط وزارة الثقافة – عمان (الأردن) ٢٠٠٧م، ص٢٤٣.
– كتابة الذات/ حاتم العسكر، ط دار الشروق عمان ١٩٩٤م، ص١٩٢. =
– = الكتابة والوجود: السيرة الذاتية فى المغرب/ عبد القادر الشناوى، ط إفريقيا الشرق، بيروت ٢٠٠٠م، ص١٣٩.
– الترجمة الذاتية فى الأدب العربى الحديث/ يحيى إبراهيم عبد الدايم، ط مكتبة النهضة، القاهرة ١٩٧٥م، ص٣.
– سير المفكرين الذاتية (زكى نجيب، لويس عوض، إحسان عباس، محمد عابد الجابرى) صدوق نور الدين، ط المركز الثقافى العربى الدار البيضاء ٢٠٠٠م، ص١٤.
– كتابة السيرة تاريخ أم أدب/ سهير القلماوى، مجلة العربى، عدد (١٧)، ١٩٦٠م.

بأسلوب المقامة الشاعرى التصويرى المترع بالموسيقى والذى يمتزج فيه فنون الشعر مع فنون النثر كجزء من البنية السردية بسردها غير المباشر والتى أدرجها فى كتابه «ريحانة الكتاب» فى باب المقامات تحت عنوان «ومن ذلك كلام فى الرحلة»[١]. وهى الرحلة التى قام بها متنقلاً من «سلا» إلى «فاس» ليهنئ «أبا زيان» باعتلائه عرش المملكة المرينية، وليظهر له ولاءه، ويأخذ منه ظهيرة تعطيه نفس الامتيازات التى منحها إياه «أبو سالم» المرينى.

والتى تصور خروجه من «فاس» إلى «المدن المراكشية» بعد أن استأذن «أبا زيان» وأذن له[٢].

والتى بدأها بقوله مجرداً من نفسه شخصاً آخر يحكى ويسرد على لسانه أحداث تلك الرحلة: «لما خف عيد مُقامه صُحبة وفد طاعته، ومَقْدم سنَّة أمره العزيز وجماعته باذلاً فى البدار قدر استطاعته، طائراً بجناح الحب الأول أمر الإمكان وساعته، فرأى السرير قد استقر به عاصبه، والملك قد تقررت مناصبه، فأدى الغرض وقرض فأحسن القريض، وعرض كتائب المدح،... **فظهر له أن يدون رحلة وجهته المنسوبة إلى عناية أمره**، ويفتق كمامة فخرها عن زهره مستعينا بالله فى سره وجهره.

فقال: خرجنا من أم القرى، ومجمع الورى، وكعبة السير والسُّرى مدينة «فاس»، دار المُلك الأصيل...

- فى السيرة/ إحسن عباس، ط دار بيروت لبنان ١٩٥٦م، ص٩٨.
- السيرة الذاتية، الميثاق والتاريخ الأدبى/ لوجون فيليب، ترجمة عمر حلى، ط المركز الثقافى العربى، بيروت ١٩٩٤م، ص٢٢.

(٥) نفاضة الجراب جـ٣ ص٦٢.

(١) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٦٤، وقد أورد المحقق الرحلة بخطأ مطبعى (السرحلة) أردنا أن ننوه إليه.

(٢) يراجع: ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٦٤: ٢٧٠.
نفاضة الجراب/ جـ٣ ص٦٢.

ماراً بـ «دشار البوير» من أحواز «فاس» إلى مدينة «مكناسة» فـ «الفحص الأفيح» إلى «عين الشعرا مروراً بـ «فحص خوازماز بن براز» إلى «دشار مكول» إلى «ماغوس» «دشار الزاوية»، وحاضرة تامسنا ومنها إلى«محلة سفيان» ومنها إلى « حلة أبى كثير» ثم الزاوية ثم «تيط أقوران»، وإكرام أبى كثير لهم.

واصفا هذه الرحلة والمسالك والأماكن التى مر بها وشكل الضيافة وما حل «بحلة سفيان» من مرض الطاعون. هذه الرحلة التى هى جزء من الرحلة المغربية «نفاضة الجراب» التى استغرقت أكثر من ثلاث سنوات، قام خلالها بالعديد من التنقلات والرحلات والتى استغرقت ثلاثة أجزاء.

ويطلق على نفاضة الجراب «الرحلة المغربية»[١]، والتى تتداخل فيها شتى الأجناس الأدبية الشعرية والنثرية والسردية وشتى المعارف ويظهر فيها بوضوح طابع السيرة الذاتية والمذكرات الشخصية فيصيرا جزء من البنية السردية للرحلة، وإن كان السلك الناظم لها، والمسيطر عليها هو السفر وسرد كل ما يتعلق به.

ومن خلال تتبع تلك النصوص وجدت الدراسة أن رحلتى «خطرة الطيف» والرحلة المغربية «نفاضة الجراب» ينطبق عليهما خصائص البناء الفنى للنص الرحلى أكثر من غيرهما وإن كانت الأعمال الأخرى نجد فيها الرحلة حاضرة، ولكن القالب الفنى المسيطر عليها قد نحى بها فى اتجاهات متنوعة، بتنوع القالب الفنى المسيطر عليها.

بواعث ودواعى الرحلة لدى لسان الدين ابن الخطيب:

تنوعت بواعث الرحلة لدى كاتبنا فشملت:

(١) وقد جانب أنيس المقدسى التوفيق عندما تحدث عن مصنفات ابن الخطيب ونص على أن من مؤلفاته «نفاضة الجراب فى وصف مدن الأندلس وعلمائها ومكانتها».
– يراجع: تطور الأساليب النثرية فى الأدب العربى/ أنيس المقدسى، ط دار العلم للملايين بلبنان ط٩، ١٩٩٨م، ص٣٠٨.

بواعث دينية «جهادية» وسياسية: فقد كان الباعث الدينى «الجهادى» الذى لا ينفك عن الباعث السياسى؛ لارتباط الجهاد بسياسة الدولة الغرناطية هو الداعى إلى قيامه برحلة «خطرة الطيف» فقد خرج مع الركب الجهادى لسلطان مملكة غرناطة «أبى الحجاج يوسف الأول» عام (٧٤٨هـ) لتفقد الثغور الغرناطية الشرقية التى كانت تتعرض لهجمات الممالك النصرانية؛ للاطمئنان على الحالة الأمنية، ورفع الروح المعنوية للمرابطين بها، وإشعار العدو بالاستعداد للتصدى له والتأهب لملاقاته، خاصة وهو السلطان الغرناطى الذى تصدى لهم واشتهر بكثرة تسيره للجيوش الجهادية المتصدية لهم، وكان على رأسها. فى حقبة كانت تتكالب عليها الممالك النصرانية وتتخطفها وتقطع أطرافها، وكان التصدى للعدو هو المقدم على سواه، لأنها كانت حقبة من أحرج الحقب فى تاريخ الصراع الإسلامى المسيحى.

وبواعث علمية وترويحية:

كانت هى الدافع لرحلته المغربية تتمثل فى التعرف على العديد من المدن المغربية، وزيارة معالمها، وزيارة أماكن الأولياء الصالحين بها، ولقاء علماء هذه المدن وأدبائها، والترويح عن نفسه التى تعرضت لسيل من الضغوط خاصة بعد الثورة على سلطان غرناطة «الغنى بالله»، والإلقاء بكاتبنا فى السجن، وإبعاده ونفيه كلاجئ سياسى مع مليكه إلى المغرب الذى احتفى به، وكأنه يقول أما آن للفارس أن يستريح.

وكان من المفترض أن يذكر بواعث ودوافع رحلته فى السفر الأول من «النفاضة» إلا أن ضياع السفر الأول من هذا المؤلف أو هذه الرحلة حال دون ذلك، لولا ما وجد فى كتاب الإحاطة من إيراده للظهير الذى خصه به «أبو سالم المرينى» قبيل قيامه بهذه الرحلة، والذى مهد له بقوله: «وقد تشوفت إلى مطالعة بلاده الغربية، وجهاتها بقصد لقاء أهل الصلاح والعبادة وزيارة ملاحد السادة»[١].

(١) الإحاطة/ جـ٤ ص٤٥٢.

وإن كان ممن عايشوا هذه الحقبة يذهبون إلى أن الدافع والباعث لمفارقة «فارس» العاصمة المغربية ومقام سلطانه «الغنى بالله» هو تلك الجفوة التى وقعت بينه وبين مليكه فأراد أن يبتعد عنه حتى لا تزيد تلك الجفوة بينهما(١)، فيكون بذلك الباعث سياسياً.

ولو سلمنا بذلك يكون قد اجتمع للسان العديد أكثر من باعث للقيام برحلته المغربية «نفاضة الجراب» الباعث العلمى والترويحى والسياسى بالإضافة إلى الباعث الدينى، وهو التفرغ للعبادة وزيارة أماكن الأولياء الصالحين.

أنواع الرحلة لديه:

وبناء على تتبع بواعث الرحلتين وسبر أغوارهما يتبين لنا أن الرحلة المغربية «نفاضة الجراب» رحلة شخصية حرة، لم تُقيد بمكان ولا زمان ولا هدف محدد لا تتعداه، فهى لم تكن محددة أو محصورة الوجهة والغاية، يظهر ذلك من الظهير الذى أصدره «أبو سالم» لابن الخطيب والذى نص فيه على الإذن لابن الخطيب بزيارة التربة بشالة وأردفه بقوله: «وقد أذنا له فى مشاهدة تلك الجهات من حضرتنا العليا إلى مراكش المحروسة للقاء الأعلام، واجتلاء المعاهد الكرام، والآثار الباقية على الأيام كيف أحب، وعلى ما شاء من إزاحة أو إلمام، مصحباً بمن ينوه به فى طريقه من الخدام»(٢).

بينما كانت رحلة «طيف الخيال» رحلة تكليفية محددة بمهمة رسمية محصورة الوجهة والغاية.

وإذا كانت الرحلة الغرناطية الأندلسية محيطها هو الثغور الأندلسية التى لا تتعدى (مائتى كيلو متر) فإن الرحلة المغربية كانت تخص المدن المغربية الغربية من فاس إلى مراكش.

---

(١) كتاب العبر/ لابن خلدون جـ٧ص٩٣، ط بيروت ١٩٥٩م.

(٢) الإحاطة/ جـ٤ ص٤٥٤.

مصادر الرحلة:

والمتتبع لأدب الرحلة لدى ابن الخطيب يجد أن مصادر الرحلة التى اعتمد عليها ابن الخطيب بجانب ملكته الأدبية، ونفسه الوثابة المتدفقة المترعة بالحيوية والتشوق وحب الاستطلاع ودقة الملاحظة هى ثلاثة مصادر:

أولاً: مشاهداته: من خلال زياراته للمدن والأماكن والمعالم التى أوردها فى رحلاته ومعاينته لها فى كل من العدوتين الأندلسية والمغربية.

فقد التحق ببلاط السلطان «أبو الحجاج يوسف الأول» بديوان السر عام (٧٤١هـ) وألحقه السلطان بركبه الجهادى فى أوائل عام (٧٤٤هـ -١٣٤٣م) لنجدة ثغر «الجزيرة الخضراء» وقام بالعديد من الرحلات الجهادية والتفقدية وعين وزيراً للسلطان «أبو الحجاج» عام (٧٤٩هـ) ورئيساً لديوان الإنشاء، وكاتب السر للسلطان، ونائبه ومدبر أمر الدولة عند خروجه للجهاد حتى وفاة السلطان (٧٥٤هـ).

وشغل الوزارتين فى عهد ابنه «الغنى بالله محمد الخامس» من (٧٥٥هـ) إلى (٧٦٠هـ) ثم من (٧٦٣هـ) إلى (٧٧٣هـ). وكان المسئول عن كل شئون الدولة الغرناطية الداخلية والخارجية.

وطبيعة منصبه تقتضى تفقده للبلاد والثغور الأندلسية؛ للوقوف على أحوالها، وحركة دولاب العمل فيها؛ ليتمكن من توجيه العمال وإرشادهم، ومن ثم تحرير التقارير عن زياراته.

وقد تحدث ابن الخطيب عن أول رحلة جهادية قام بها عندما ألحقه السلطان «أبو الحجاج يوسف الأول» بالركب الجهادى، كما سجل رحلته التفقدية بصحبته للثغور الغرناطية «خطرة الطيف فى رحلة الشتاء والصيف».

أما زياراته للمدن المغربية ورحلاته إليها فقد تعددت فقد كانت تربط ابن الخطيب ببلاد المغرب روابط عميقة، فإليها التجأ، وبها احتمى، وفى ربوعها التقى بالعديد من أعلام المغرب على اختلاف مشاربهم ومستوياتهم، ووصف العديد من

الأماكن والمعالم، وارتبط بها، وألف فيها العديد من الكتب، وأنشأ أكثر من أربعين رسالة وسيل من القصائد والمقطوعات تعدت ألاف الأبيات.

ولقد تردد ابن الخطيب على المغرب أربع مرات، مرتين منها كانتا زيارتين سريعتين وزيارتين أقام فى كل منهما لمدة ثلاث سنوات، كلاجئ سياسى، وقضى نحبه ودفن فيها، فأواه ثراها حياً وميتاً.

الزيارتان السريعتان كانت أولهما: فى بداية حكم السلطان المرينى «أبى عنان» الذى تولى المغرب وقد وفد عليه سفيراً عام (٧٥٢هـ) فى التعزية فى وفاة أبيه، والتهنئة باعتلائه العرش، وقد وفق فى سفارته هذه إلى أبعد الحدود، يقول «ابن خلدون»: فجلى فى أغراض سفارته»[١].

والزيارة الثانية: كانت فى عهد «أبى عنان» أيضاً، وكان سفيراً للسلطان الغرناطى «الغنى بالله» عام (٧٥٥هـ) عند توليه لغرناطة لتقوية العلاقات، والتأكيد على الترابط بين العدوتين، وإبلاغه بحقيقة الأوضاع فى الأندلس، والاستنجاد به فى مواجهة القشتاليين، الذين اشتدت أطماعهم بعد استلام «الغنى بالله» زمام الأمور، وقد وفق فى رحلته غاية التوفيق.

فقد قال «أبو القاسم الشريف السبتى» الذى حضر مجلس سفارته: «لم يسمع بسفير قضى سفارته قبل أن يسلم على السلطان إلا هذا مشيراً إلى ابن الخطيب»[٢].

وقد ذكر ابن خلدون أنه كان موجوداً فى حفل استقبال «أبى عنان» لابن الخطيب ووفده وأظهر مدى احتفائه به[٣].

---

(١) تاريخ ابن خلدون/ جـ٧ ص٦٩٠.
- أزهار الرياض/ جـ١ ص٢٠٥.

(٢) تاريخ ابن خلدون/ جـ٧ ص٦٩١.

(٣) المرجع السابق/ جـ٧ ص٦٩١.
- أزهار الرياض/ جـ١ ص٢٠٦.
- نفح الطيب/ جـ٥ ص٩٨.

أما الزيارتان اللتان استغرقت كل منهما مدة ثلاث سنوات: **فهى زيارته الثالثة** وإقامته فى المغرب العربى مع مليكه المخلوع «الغنى بالله» منفياً ولاجئاً سياسياً من (٧٦١هـ) إلى (٧٦٣هـ)، والتى لم يركن فيها للإقامة بـ«فاس» مع مليكه، بل انتقل فيها بين العديد من المدن المغربية الغربية، وأقام فى سلا، ورابط فى شالة حتى عاد إلى غرناطة فى ركب رسمى عندما استعاد «الغنى بالله» ملكه.

ولقد كانت هذه الحقبة أخصب فترات حياته فى العطاء العلمى والأدبى، فقد أتاح له تفرغه من السياسة ومن انشغاله فى تدبير الملك أن يؤلف الكثير من مؤلفاته خاصة التى تنتمى إلى أدب الرحلة ووصف البلدان ومنها «رحلة نفاضة الجراب».

والزيارة الرابعة والأخيرة: كانت بعد عشر سنوات من (٧٧٣هـ) إلى (٧٧٦هـ) تاريخ وفاته وأتى فى هذه المرة فاراً من مليكه بعد أن أحس أن أعداءه قد أوغروا صدره، مع ما بذله من جهد مضنى فى إعادة بناء مملكته وإرساء وتقوية قواعدها، وقد انتهت هذه الزيارة بمحاكمته وقتله.

ثانيا: الاطلاع والسماع:

فقد اطلع لسان الدين على الكثير من الرحلات وأعجب بها وترجم لأصحابها(١)، كما قرأ لمن سبقوه من الكتاب والمؤرخين الذين وصفوا المدن الأندلسية وتاريخها الحافل بالأحداث.

وسمع من شيوخه الذين تتلمذ على أيديهم عن أحوال المغرب منذ القدم، وأخبار وأحداث الأندلس الذى تربى فى أحضانه، ودرج فى ربوعه خاصة وأن العدوتين كانت تربطهما علائق وثيقة على كافة المستويات، وتؤثر أحداث كل منها فى الآخر.

هذا بالإضافة إلى مجالس ابن الخطيب العلمية وندواته الثقافية، والتى كانت كثيراً ما تجمع رواة الأخبار، وحفظة التاريخ، والرحالة، والأدباء، والجغرافيين والساسة.

ثالثا: التقارير الرسمية:

فابن الخطيب الوزير وأمين سر السلطان لابد أن يطلع على كافة التقارير الرسمية والرسائل الإدارية التى كانت ترد من عمال وحكام الأقاليم الغرناطية، والتقارير التى كانت ترد عن العدوة المغربية.

وقد استفاد منها ابن الخطيب – إلى حد كبير – مكنه من معرفة كافة أحوال العدوتين.

(١) تراجع ترجماته لهؤلاء الرحالة ومنهم: ابن جبير ورحلته التى قال عنها: «صنف الرحلة المشهورة... وهو كتاب مؤنس ممتع مثير سواكن الأنفس إلى تلك المعالم».
– الإحاطة فى أخبار غرناطة/ جـ٢ ص٢٣٩ –٢٤٠.

ونظراً لطول «نفاضة الجراب» واتساعها زمنياً وفنياً ومعرفياً، ونصياً. وضياع الجزء الأول منها، رأيت أن يتناول البحث بالدراسة الفنية رحلة مكتملة ومحددة النص لكى يتمكن البحث من سبر أغوارها وتتبع السمات والخصائص الفنية للنص الرحلى لدى ابن الخطيب بصورة متكاملة ألا وهى «خطرة الطيف»؛ لتكون أنموذجاً لأدب الرحلة لديه.

المبحث الثانى

بناء رحلة «خطرة الطيف» وموقع السارد فيها

الرحلة «خطاب تنشئه ذات مركزية، هى ذات الرحالة، تحكى فيه أحداث سفر عاشته، وتصف فيه الأماكن المزورة، والأشخاص الذين قابلتهم وما جرى معهم»[١]، فالرحلة حكى، وكل حكى يستلزم وجود أطراف ثلاثة: ذات حاكية، والخطاب المحكى، والمحكى عنه، وكل حكى سرد، وكل نوع سردى يختلف عن الآخر بطبيعة تكوين هذا السرد.

فالسرد فى النص الرحلى سرداً مباشراً، والمسرود هو السفر، والخطاب السردى يواكب رحلة السفر من البداية حتى النهاية رجوعاً إلى نقطة الانطلاق[٢].

وهذا ما ينطبق على رحلة «خطرة الطيف» فالسرد فيها سرداً مباشراً يتبين ذلك من:

موقع السارد فيها:

فالسارد هو المؤلف نفسه «لسان الدين ابن الخطيب»، وهو الذات المركزية التى تقوم بفعل الرحلة، وتقوم بتلفيظ تلك الرحلة، وهو الذى تمر الرحلة فى انتقالها عبر الأماكن المزورة من خلاله، ولا تنفصل عن ثقافته ومعتقداته، ورؤيته للعالم، فابن الخطيب فى «خطرته» مثله مثل المساح كما صوره «كليطو» فهو مسافر محمل بأدواته المتمثلة فى ثقافته المتنوعة الموسوعية، التى لا تخرج عن ثقافة عصره، وقدرته البيانية التى تميزه عن غيره، فهو يعرض لما يشاهده من خلال ذاته المحملة بثقافته ومشاعره ورؤيته الشخصية، التى يمرر من خلالها مشاهداته فى رحلته ويطبعها بطابعه

(١) فى الخطاب الرحلى/ محمد الحاتمى، مجلة فكر ونقد السنة التاسعة العدد (٨٧) مارس ٢٠٠٧م.
(٢) المرجع السابق.

«فذاته حاضرة باستمرار يمرر من خلالها الحكاية فهو عندما يرحل لا يرحل بجسده فقط بل بقلبه وفكره ووجدانه أيضاً[١].

والمسرود: هو السفر فى رحلة «خطرة الطيف»، وهو الناظم لمختلف مكونات الرحلة من سرد ووصف وأخبار وحكايات وأشعار ومعارف متنوعة[٢].

والخطاب السردى: خطاب الرحلة أو النص الرحلى يواكب رحلة سفر لسان الدين ابن الخطيب مع الركب السلطانى من البداية حتى النهاية رجوعاً إلى نقطة الانطلاق يظهر ذلك من خلال العرض لنص «خطرة الطيف»:

أولاً: عتبة النص:

العنوان:

العنوان «موضوع التأويل، ومفتاح تأويلى للنص الذى يعنونه[٣]، فالعنوان يمنهج القراءة ويتحكم فى تأويل النص وفق انتظار المتلقى، لأنه كما يقول «عبد النبى ذاكر»: «اقتراح عقد»[٤]، ولذا كان للعنوان أهميته فى النص الرحلى، فهو يتيح لنا قراءات تأويلية تقابلية. فعنوان الرحلة الغرناطية «خطرة الطيف فى رحلة الشتاء والصيف» يمزج الخيال بالواقع، ويوحى بقصر هذه الرحلة، ويثير تساؤلات هل هى واقعية؟ وما هى سماتها وخصائصها؟ ويأتى المسند إليه «فى رحلة الشتاء والصيف» ليجيب على هذه التساؤلات إنها خطرة طيف لرحلة واقعية مهمة وأساسية كأهمية رحلتى

(١) المقامات السردية والأنساق الثقافية/ عبد الفتاح كليطو، ترجمة عبد الكريم الشرقاوى، ط دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ١٩٩٣م، جـ١ ص١٢٧.

(٢) أدبية الرحلة/عبد الرحيم مؤذن،ط دار الثقافة، الدار البيضاء، ط أولى ١٩٩٦م، ص٢٦-٣٥.

(٣) العنوان والتعاقد التأويلى الوظائف والدلالات/ محمد بازى مجلة طنجة الأدبية، يوليو العدد (٢٧) ٢٠١٠م، ص٢٨.

(٤) عتبات الكتابة مقاربة لمساق المحكى الرحلى العربى/ عبد النبى ذاكر، بحث مقدم ضمن «مجموعة البحث فى الأدب الشخصى» كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة أكادير بالمغرب ١٩٩٨م، ص١٦٠.

الشتاء والصيف لأهل مكة، ويتناص مع الآية فى سياق النص القرآنى الذى يصور مرحلة من مراحل الصراع بين المسلمين والمشركين(١)، والذى يتكرر فى الأندلس، ويبئر بأنها رحلة جهادية، والمسند «خطرة الطيف» يؤذن بأن سرد هذه الرحلة سيكون سرداً مكثفاً وقصيراً فهى خطرة طيف.

بالإضافة إلى أن الأسلوب التركيبى للعنوان بتركيبة جملته الاسمية التى تدل على الثبات، تدل على الأسلوب الذى سينتهجه المؤلف فى هذه الرحلة التى هى من الرحلات الدائمة والمستمرة والمتعاقبة تعاقب فصلى الشتاء والصيف فدالة «الرحلة»، بتمركزها تسيطر على الصيغة التركيبية للنص، وتربط بين المسند إليه التى هى جزء منه «فى رحلة الشتاء والصيف» الذى يؤذن بالموروث الثقافى الذى يتم استحضاره عبر النص والمسند «خطرة الطيف» التى تفيد بأن هذا الموروث سيعرضه المؤلف من خلال تصويره وخياله ولغته الخاصة المحملة بعبق الموروث الثقافى التى هى جزء منه فهى خطرة طيف لكنها محددة بظرفية الرحلة المستمرة باستمرار الفصول وواقعيتها. كما يوحى أسلوب العنوان وما به من سجع وجناس وشاعرية لغة بأن هذا الأسلوب التصويرى الموسيقى البديعى هو الذى يسيطر على لغة النص، كما تسيطر عليه البنية المبنية على التقابلات والمفارقات التصويرية المنسجمة «الشتاء» و«الصيف»، ويعكس الحالة النفسية للمؤلف التى تنطبع من خلال هذا النص الرحلى ألا وهى الانطلاق والإقبال على الحياة، من خلال الظلال التى ينشرها المسند (خطرة الطيف).

(١) آية (٢) من سورة قريش: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾.

التقديم للرحلة:

قدم ابن الخطيب لرحلته بحمد الله وشكره على فضله الدائم ورفقه بعباده الذى جعل الأرض ذلولاً نمشى فى مناكبها، ونأكل من رزقه، مقدماً للرحلة وممهداً لموضوعه من البداية بقوله: «نمشى فى مناكبها» مستحضراً قوله تعالى: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ** ﴾[1]، ومتناصاً مع هذه الآية التى تحث على السفر والارتحال ليقدم لنصه الرحلى. ويردف الحمد بالصلاة على سيدنا ومولانا محمد خيرة خلقه، وبالدعاء لسلطانه الغرناطى «أبى الحجاج يوسف النصرى» بالسعد الذى يجعل نور أفقه يتلألأ، وبالنصر الذى يعم المعمورة غرباً وشرقاً وفى نهاية دعائه للسلطان يضىء للغرض من الرحلة والباعث لها فيقول: «نحمد الله حمد معترفٍ بحقه، ونشكره على عوائد فضله ورفقه، الذى جعل لنا الأرض ذلولاً، نمشى فى مناكبها، ونأكل من رزقه، ونصلى على سيدنا ومولانا محمد خيرته من خلقه، ونستوهب للمقام المولودى اليوسفى النصرى سعداً يتلألأ نور أفقه، **ونصراً يُتلى بغرب المعمور وشرقه**»[2].

التمهيد:

كعادة ابن الخطيب يتفنن فى أن يمهد لموضوعه ويوضح السبب والدافع الذى جعله يُؤلف هذا المؤلف.

ففى رحلته «خطرة الطيف»: يمهد أولاً: بسرده للدافع الذى دفعه إلى كتابة وتلفيظ تلك الرحلة من خلال سرده لطلب محبوبته أن يصف لها رحلته التى عانت بسببها من بعده عنها واستجابته لها بسرد تلك الرحلة، من خلال بيتى الشعر اللذين

(١) الآية (١٥) من سورة الملك.

(٢) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٤٨.

– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٢٥.

جعلهما مفتاحاً لنصه السردى[١]، والدالة التى تظهر جنسه الأدبى الذى ينتمى إليه، ويجعله ضمن سرود أدب الرحلة.

ومؤكداً من خلالهما على أدبيته وأسلوبه البديع الذى ينظم سلكه، وتفننه فى صياغته وسرده ليكون تحفة فنية يقدمها لمحبوبته فيقول:

وقائلة صف لى فديتك رحلة غنيت بها يا شقة القلب من بُعد
فقلت خذيها من لسان بلاغة كما نُظم الياقوتُ والدُّر فى عقد[٢]

وموضحاً تلاحم وامتزاج البنية الشعرية مع البنية النثرية فى بنية سرده.

ثم يتبعها ببيان سبب قيامه بالرحلة والدافع إليها:

بقوله: «لما وقع العزم الذى وفقه الله على مصالح هذه الجزيرة والقصد المعرب عن كريم العقيدة وفضل السريرة، على تفقد بلادها وأقطارها، وتمهيد أوطانها، وتيسير أوطارها، رأى من قلده الله أمورها، ووكل إلى حمايته ثغورها، مولانا وعصمة ديننا ودنيانا أمير المسلمين وظل الله على العالمين «أبو[٣] الحجاج» إسماعيل بن مولانا

(١) قد أورد ابن الخطيب البيتين اللذين يمهد بهما للرحلة ضمن نص الرحلة الذى أورده فى كتابه ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، جـ٢ ص٢٤٨.
- وأثبتهما «العبادى» ضمن نص الرحلة فى كتابه مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب، ص٢٥.
- ولم يثبتهما أو يذكرهما محمد مسعود جبران فى عرضه لها فى كتابه: فنون النثر الأدبى فى آثار ابن الخطيب، ط دار المدار الإسلامى بيروت – لبنان ٢٠٠١م، جـ٢ ص١٣-٢٨.

(٢) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٤٨.
- مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب، ص٢٥.

(٣) وردت فى مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب «أبى الوليد» بدل «أبو» التى وردت فى ريحانة الكتاب، وهى أصح نحوياً.

أمير المسلمين وكبير الملوك العادلين الصالحين أبو الوليد بن مولانا الهمام الأعلى، الذى تروى مفاخره وتتلى، أبى سعيد حفظ الله منه على الأيام بحر الندى، وبدر المنتدى، وسابق الفخر البعيد المدى، وشمله برواق عصمته كلما راح واغتدى، أن يباشرها بنفسه، ويجعل آفاقها مطلع شمسه نظراً للإسلام وقياماً بحقه، وعملاً على ما يقربه ممن استخلفه على خلقه»[١].

فهو ينص على أن سبب هذه الرحلة تفقد البلاد والثغور الأندلسية فهى رحلة تفقدية رسمية فى مصاحبة الركب السلطانى لحاكم غرناطة وسلطانها «أبى الحجاج» ويلح على تأكيد أن الدافع إليها دافع دينى، بقوله: «نظراً للإسلام وقيامه بحقه، وعملاً على ما يقربه ممن استخلفه على خلقه»[٢].

بالإضافة إلى الدافع السياسى الذى يتمثل فى قوله: «على تفقد بلادها وأقطارها، وتمهيد أوطانها، وتيسير أوطارها»، فهى رحلة محددة الوجهة مرتبطة بالركب السلطانى ومراسم استقباله.

ثانياً: بداية الرحلة ومكان الانطلاق وزمنه:

تبدأ رحلة «خطرة الطيف» **بوصف لسان الدين الأجواء التى أحاطت بخروجها** فى أجواء شتوية صعبة تتراكم فيها الغيوم، وتنهمر فيها الأمطار.

ويتحدد مكان الانطلاق: «فى وجهة حالفها الغمام المستجم، وقصبة قضى له بالسعد من لا ينجم»[٣] القصبة التى قضى لها بالسعد التى هى مكان الانطلاق قصبة قصر الحمراء «بغرناطة».

---

(١) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٤٨.
– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٢٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٤٨. وورد فيها: «نصبة» بدلاً من «قصبة» التى وردت فى مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٢٦.
– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٢٦.

وتحديد زمنه: يحدد ابن الخطيب زمن انطلاق الرحلة باليوم والشهر والسنة فيقول: «فكان البروز إليها يوم الأحد سابع عشر شهر المحرم فاتح عام ثمانية وأربعين وسبعمائة»(١).

ولا يقتصر ابن الخطيب على تحديد مكان انطلاق الرحلة وزمانها بل يصف المشاعر والأحاسيس المصاحبة لانطلاق الرحلة من تعلق وحنين، واجترار للذكريات عند الرحيل مما يضفى عليها بعداً إنسانياً.

قائلا: «خرجنا وصفحة الأفق بالغيم منتقبة، وأدمع السحب لوداعنا مُنسكبة نتبع من الرَّاية الحمراء دليلاً هادياً، ونثق بوعد الله سبحانه فى قوله، ولا يقطعون وادياً. وسلكنا جادة الماء المفروش، نُسْرح اللِّحاظ بين تلك العروش، ونبتذل ما نحلته عروس الربيع من تلك الفروش، ومن له بالحضرة حرسها الله شوقٌ حثيث، وهوى قديم وحديث، يكثر الالتفات، ويتذكر لما فات ويبوح بشجنه، وينشد مشيراً إلى سكنه.

يوم أزمعت عنك طى البعاد وعدتنى عن الوداع العوادى
قال صحبى وقد أطلت التفاتى أى شىء تركت قلت فؤادى(٢)

ثالثاً: مراحل الرحلة ومحطات توقفها:

ويسرد الخطاب الرحلى لـ«خطرة الطيف» أهم مراحل الذهاب والإياب التى مر بها الركب السلطانى المنطلق من قصر الحمراء بغرناطة وأهم المحطات التى توقف

(١) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٤٨.
- مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٢٦.

(٢) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٤٨-٢٤٩، وردت «منتفسة» بدل من «منتقبة» ويبدو أنه خطأ مطبعى.
- مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٢٧.
- والبيتان للسان الدين ابن الخطيب، يراجع: ديوان لسان الدين ابن الخطيب/ تحقيق محمد مفتاح، ط دار الثقافة، الدار البيضاء ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، المجلد الأول ص٣٢٠.

فيها من خلال مقاطع ومفاصل سردية متتالية يتخللها سرد وصفى يبدع من خلاله «ابن الخطيب» فى رسم لوحاتٍ فنية حية ونابضة لمرئياته ومشاهداته.

أولاً: رحلة الذهاب مراحلها ومحطات توقفها:

وكانت المرحلة الأولى فى رحلة الذهاب هى الانتقال من «غرناطة» إلى «وادى فردس» ليكون «وادى فردس» **المحطة الأولى** التى توقف بها الرحل حيث يقول: «ثم استقلت بنا الحمول وكان بوادى فردس النزول، منزل خصيب ومحل له الحسن نصيب[١]. والذى أقلع عنه الركب سريعاً مع بداية بزوغ ضوء النهار.

لتبدأ المرحلة التالية من مراحل رحلة الذهاب التى تتمثل فى الانطلاق من «وادى فردس» إلى مدينة «وادى آش» والتى صورها ابن الخطيب بقوله:

«ولما ابتسم ثغر الصباح، وبشرت بمقدمه نسمات الرياح، ألغينا عمل السراج إلى الإسراج، وشرعنا فى السير الدائب، وصرفنا إلى «وادى آش» صروف الركائب»[٢].

وبعد المرور «بوادى حمة» والمعالم والأعلام التى منها «دار حمدة[٣] «حمدونة» الأندلسية بنت وادى آش شاعرة الأندلس وخنساء المغرب، فحياها وتذكر

---

(١) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٤٩، وورد فيها «فرذش» بدل «فردس»، ورد فيها «من الحسن نصيب بزيادة (من).
– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٢٨.

(٢) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٤٩.
– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٢٨

(٣) هى: حمدة أو حمدونة بنت زياد المؤدب، شاعرة أندلسية رقيقة، من أهل اللطف والجمال تتميز بجودة شعرها ورصانة تركيبه، (ت. ٤٣٩هـ)، تراجع ترجمتها فى: معجم الأدباء/ ياقوت الحموى، ط دار الغرب الإسلامى بيروت لبنان ط أولى ١٩٩٤م، جـ٣ ص١٢١.
– أعلام النساء/ عمر كحالة، ط مؤسسة الرسالة بمصر جـ١ ص٢٩٢-٢٩٣.
– رايات المبرزين وغايات المميزين/ أبو الحسن بن موسى بن سعيد الأندلسى، حققه وعلق عليه محمد رضوان الداية، ط دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر الطبعة الأولى ١٩٨٧م، ص١٦٧.
– الأدب النسوى فى المغرب والأندلس/ المقال الثامن، مجلة دعوة الحق، ط إعداد وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب العدد (٩٥).

مجالسها ونواديها العامرة وتناشدوا شعرها فى واديها[١]:

أبـــاح الشـــوق أســـرار بـــوادى لـــه فـــى الحســـن آثـــار بـــوادى

... ...

تأتى المحطة الثانية التى توقف فيها الركب ألا وهى «مدينة وادى آش» وفى هذه المحطة يصور «ابن الخطيب» استقبال أهل مدينة «وادى آش» للركب السلطانى، ويصف تحاشد أهلها واحتفالهم واحتفائهم بالركب وخروج النساء وتزاحمهن سافرات بيض الوجوه يأسرن بحسنهن من يراهن، واختلاطهن بالرجال فى هذا الاحتفال البهيج بزيهن الأبيض قائلا:

«فرأينا تزاحم الكواكب بالمناكب، وتدافع البدور بالصدور بيضاء كأسراب الحمائم، متلفعات بروضهن تلفع الأزهار بالكمائم»[٢].

كما يصف جمال البلدة وأناقة ساحتها التى أُستقبل بها الركب السلطانى ورحابتها، وجمال طبيعتها، مستحضراً شعر ابن اللبانة[٣]، «بلد أعارته الحمامة طوقها»[٤].

---

(١) رايات المبرزين/ ابن سعيد ص١٦٨.

(٢) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥٠.

- مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٢٨-٢٩.

(٣) ابن اللبانة الدانى: محمد بن عيسى اللخمى الدانى، اتصل بابن عباد فى إشبيلية ومدحه، وقامت علاقة بينهما، وظل وفياً له على الرغم من نكبته، وبعد وفاته فارق «إشبيلية» إلى «ميورقة» وهو شاعر رقيق عذب الشعر توفى فى ميورقة (٥٠٧هـ).

- تراجع ترجمته فى: الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة/ ابن بسام الشنتيرى، تحقيق إحسان عباس ط دار الثقافة بيروت لبنان ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م، جـ٣ ص٦٦٦-٧٠٢.
- قلائد العقيان/ الفتح بن خاقان، تحقيق حسين يوسف خربوش، ط مكتبة المنار بالأردن ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م، ص٧٧٦-٧٨٠.
- المغرب فى حلا المغرب/ ابن سعيد، تحقيق شوقى ضيف، ط ٢ مط دار المعارف بمصر ١٩٦٤م جـ٢ ص٤٠٩-٤١٦.

(٤) ديوان ابن اللبانة الدانى (مجموع شعره) جمع وتحقيق محمد مجيد السعيد ط ٢ دار الراية للنشر والتوزيع ١٤٢٩هـ -٢٠٠٧م، ص٧٦. =

ويسرد أحداثاً ارتبطت بها مثل: تمنعها على الملوك، وما حدث فيها من قلاقل سرعان ما أُخمدت، ويصف شهامة وبر وكرم أهلها، واحتفائهم بهم مما جعلهم لا يحتفون بذم ابن أبى العافية[١]، لأهل مدينة «وادى آش»[٢]، **وتبدأ المرحلة التالية** برحيل الركب السلطانى من مدينة «وادى آش» إلى «غور»، وعدم ارتياده للطرق المتاخمة لمدينة «وادى آش» بسبب ما يتهددها من ملمات[٣].

فيصل إلى المحطة التالية: وهى ثغر «غور»[٤]، مصوراً ما واجههم من أنواء فى تلك الليلة الشتوية، وتبكريهم فى الرحيل، واغتنامهم لشروق الشمس مستحضراً المصطلحات البلاغية والبزة العباسية بسوادها، وأيام التشريق من خلال تصوير وقت رحيلهم قائلاً:

= وقد تناص ابن قلاقس مع بيتى « ابن اللبانة» اللذين أوردهما ابن الخطيب مع بعض التغيير كالآتى:

بلد أعارته الحمامة طوقها ... وكساه حلة ريشه الطاووس
وكأن هاتيك الشقائق قهوة ... وكأن ساحات الديار كؤوس

- ديوان ابن قلاقس/ راجعه وضبطه ومثله للطبع خليل مطران ط مطبعة الجوائب مصر ١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م، ص٥٦.

(١) هو موسى بن أبى العافية المكناسى قائد عسكرى شجاع، وداهية ينتهى إلى قبيلة زناتة، وظهر على المغرب الأقصى والأوسط ونكل بالأدارسة، وأجلاهم عن بلادهم، وتوفى (٣٤٥هـ) وتولى أولاده من بعده حكم المغرب ولقبوا وأطلق عليهم فى تاريخ المغرب ملوك بنى أبى العافية. - يراجع: تاريخ ابن خلدون/ جـ٥ ص١٨٥-٢٥٨.

(٢) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٤٩ -٢٥١.
- مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٢٨ -٣٠.

(٣) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥١.
-مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣٠.

(٤) «غور» هى: بلدة صغيرة تقع فى الشمال الغربى من مدينة وادى آش.
- هامش ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥١

«وكان اللحاق بغور، من بعض تلك الثغور، أتيناها والنفوس مستبشرة، والقباب لأهلها منتظرة، فحمدنا الله على كمال العافية، وقلنا فى غرض تجنيس القافية:

ولما اجتلينا من نجوم قبابنا سنا كل خفاق الرواق بغور
زرينا على شهب السماء بشهبها متى شئت يا زهر الكواكب غور

أظلتنا بها ليلة شتوية، وألحفتنا أنواء الأرض مراثية. فلما شاب مفرق الليل، وشمرت الآفاق بزتها العباسية فضول الذيل، بكرنا نغتنم أيام التشريق وندوس بأرجلنا حيات الطريق»[1].

وبالتبكير بالرحيل من «غور» **تأتى مرحلة تالية من «غور» إلى مدينة «بسطة»**.

فيمر الركب بحصن من تلك الحصون السامقة هو حصن «الببول» «وجزنا فى كنف اليمن والقبول بحصن الببول حسنة الدولة، وإحدى اللطائف الخفية، تكفل الرفاق بمأمنها، وفضح سرية العدو فى مكمنها من أبيض كالغارة ضمن الفوز فى تلك المفازة فحييناه بأيمن طير وتمثلنا عنده بقول زهير[2]:

---

(١) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥١.
– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣٠–٣١.

(٢) هو: الشاعر أبو الفضل زهير بن محمد بن على المهلبى، المعروف بـ «بهاء الدين زهير»، وينتهى نسبه إلى المهلب، ولد بوادى «نخلة» قرب «مكة» فى الخامس من ذى الحجة (٥٨١هـ)، ولما شب توجه إلى «مصر» واتصل بالملك الصالح، نجم الدين أبو الفتح أيوب، ولازمه وأخلص له إلى أن توفى عام (٦٥٦هـ).
– يراجع ترجمته فى: وفيات الأعيان/ ابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، ط دار صادر بيروت – لبنان ١٩٧٤م، جـ٢ ص٦٣٢.
– النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة/ ابن تغرى بردى، ط وزارة الثقافة والإرشاد القومى، دار الكتب، مصر د.ت. جـ٢ ص٤٦٢.
– شذرات الذهب فى أخبار من ذهب/ عبد الحى بن العماد العكبرى، ط دار ابن كثير، دمشق – بيروت ١٤٠٦هـ –١٩٨٦م، جـ٧، ص٤٧٦–٤٧٨.
– البيتان من قصيدة لبهاء الدين زهير، ديوان بهاء الدين زهير/ ط دار صادر، بيروت – لبنان ١٣٨٣هـ–١٩٦٤م.

وسكنتها حتى إذا هبت الصَّبا بنعمان لم تهتز فى الأيك أغصان
ولم يك فيها مقلة تعرف الكرى فلوزارها طيف مضى وهو غضبان[1]

والمحطة التالية هى: «بسطة»:

ويخصها بوصف رائع ومسرد سجعى متوازن، ويصور لنا مدى الحفاوة والترحيب الذى قوبل به الركب السلطانى على المستوى الرسمى والشعبى، ويعطى لنا صورة عن الرسوم والتقاليد المتبعة فى الاستقبالات الرسمية فى الأندلس، التى يتراص فيها الفرسان صفوفاً، ويلتف حولهم وحول الموكب الرَّجالة من الجند بزيهم الرسمى، وإطلاقهم النفير العسكرى ترحيباً بالركب، والذى واكبه تسارع أهل بسطة رجالاً ونساءً، أطفالاً بنين وبنات، بعد أن وقف مبهوراً من جمال طبيعتها التى جعلته يرى أنها أحق بوصف الشاعر من جلق «دمشق» التى قال عنها[2]:

بلاد بها الحصباء درٌ وتُربُها عبير وأنفاس الرياح شمول
تسلسل منها ماؤها وهو مطلق وصح نسيم الروض وهو عليل

ويذكر أهم معالم «بسطة» الحضارية منها «مسجد الجنة» الذى يبدو أنه كان تحفة معمارية، و «باب المسك» الذى كان يدخل المسك من خلاله إلى «بسطة» ليشمل بعبقه المدينة.

---

(١) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥١.
– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣٠-٣١.

(٢) البيتان لابن عنين الشاعر الدمشقى شرف الدين محمد بن نصر الله بن مكارم بن عنين الأنصارى، ت. (٦٣٠هـ)، كان من فحول شعراء عصره، وبرز فى الهجاء، تراجع ترجمته:
– سير أعلام النبلاء/ شمس الدين محمد بن عثمان بن قايماز، تحقيق مجموعة من المحققين، إشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ط٣، ط مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ-١٩٨٩م جـ٢ ص٤٠٣
أوردهما المقرى فى نفح الطيب/ جـ١ ص٩٩، مع بيت يسبق هذين البيتين:
دمشق بنا شوق إليك مبرح وإن لجّ واشٍ أو ألحَّ عذول

ويصف الكرم الذى عمهم، والعاصفة التى تعرضت لها المدينة وحالت دون استمتاعهم بجمالها، ويلخص وداع المدينة للركب بعد أن أصبح الجو صحواً بقوله: «وكان أداء الواجب بعد خروج الحاجب»(١).

وتبدأ مرحلة أخرى من «بسطة» إلى حصن «شيرون» يبسط فيها ابن الخطيب القول فيمر الركب السلطانى بعد خروجه من بسطة **بكبرى مدنها «قنالش»** ويصف بتكثيف بارع جمال طبيعتها الذى هو امتداد لجمال طبيعة «بسطة» ويصف مثول أهلها وخروجهم للتسليم على الركب والترحيب به ومدى تألمهم من عدم نزوله.

وبـ«فحص الأنصار»(٢)، الذى يرى ابن الخطيب أنه قد تجددت أمجاده بـ «بنى الأحمر» الذين ينتمون إلى الصحابى الجليل «سعد بن عبادة الأنصارى» صاحب «ثقيفة بنى ساعدة» التى تمت فيها البيعة لأبى بكر ﷺ بعد وفاة رسول الله ﷺ وأول من خفقت رايته بهذا الفحص عند بداية الفتح الإسلامى للأندلس، فأقام به هو ومن تحت لوائه من الأنصار فلقب بهم.

فإذا هو يستحضر عصر صدر الإسلام، وتاريخ الفتح الإسلامى للأندلس، وأمجاد سلطانه وأجداده بإيجاز وتكثيف بديع بقوله:

«وأتينا فحص الأنصار فتجددت له ملابس المجادة، وتذكر عهود من حل به عند الفتح الأول من السادة، لما خفقت به راية سعد بن عبادة»(٣).

ويمر الركب ببداية «وادى المنصورة» الذى يثير بجمال طبيعته الغناء شوقه لبلده، فيذكره غناء حمامه بأحبابه، ويشعل شوقه إليهم، وتذكره أصوات (القمارى) بقول

---

(١) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥٢.
– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣٣.

(٢) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥٢-٢٥٣، وورد بها خطأ «فحص الأبصار».
– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣٣-٣٤.

(٣) المصدر السابق.

«ابن حصن الحجارى»[١]: «وما راعنى إلا ابن ورقاء هاتف...»[٢] فإذا مشاعر «ابن الخطيب» وأحاسيسه تغلف المشهد وتثير تعاطفاً إنسانياً.

ويصل الركب إلى المحطة التالية حصن «شيرون» هذا الحصن الذى نزل الركب السلطانى فيه، وقد ترعرع شباب اليوم، ليتفقدوا هذا الحصن الأشم، ذو المناخ الذى لا يُذم، الشامخ على هضبة نزل بإزائها الركب، ويصف لسان الدين العقارب التى تقطن المكان، تلك العقارب الغريبة «عقارب سود متوجة بأذنابها فى شكل الطاووس»، ورد فعلهم تجاه ذلك من خلال تعايشهم مع هذا الوضع، ومحاولة تقبله بسعة صدر من خلال مقولتهم التى استغلوا فيها التورية وخداعها الفنى؛ ليتصبروا بها من خلال روح مرحة متفكهين بتلك الخدعة «وقلنا العقرب من منازل البدر»[٣].

وبرحيلهم عن حصن «شيرون» تبدأ المرحلة التالية التى تنتهى بوصولهم إلى مدينة «برشانة» ويجتاز الركب وادى المنصورة[٤]: سمر الأندية وسلطان الأودية

---

(١) هو الشاعر أبو الحسن بن حصن الحجارى الإشبيلى، كاتب المعتضد، كان منافساً «للمعتمد بن عباد فى الشعر، وهو من مشاهير شعراء المعتضد وقُتل على يديه.
تراجع ترجمته:
- الذخيرة من محاسن أهل الجزيرة، جـ٢ القسم الأول ص١٥٨.
- جذوة المقتبس/ الحميدى تحقيق محمد بن تاويت الطنجى ط القاهرة ١٩٥٢م، ص٢٩٦.
- بدائع البدائه/ على بن ظافر الأزدى المصرى ط دار الطباعة الأميرية المصرية ١٢٨٧هـ، ص٣٦٧.
- رايات المبرزين/ ص٥١.

(٢) وردت هذه الأبيات فى القصيدة التى يصف فيها «ابن حصن الحجارى» ما أثاره هذا الطائر (القمارى) فى نفسه من شوق، والتى ختمها بمدح «المعتضد»، وقد وردت فى كل من:
- الذخيرة/ جـ٢ ص١٦٦-١٦٨.
- رايات المبرزين/ ص٥١-٥٢.

(٣) ريحانة الكتاب/ ص٢٥٣.
- مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣٤.

(٤) وادى المنصورة ويسميه العرب وادى بيرة؛ لأنه يصب مياهه فى البحر المتوسط عند بلدة «بيرة».
يراجع: مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ هامش ص٣٤.

ملتحفين بظلاله، ويصور لنا جماله، وجمال نهره الذى يتشكل بعدة أشكال وفقاً لطبيعة المكان الذى يمر به هذا الوادى، الذى طالما شهد أندية الخلاعة والمجون لجمال طبيعته وكثافة وتداخل أغصان أشجاره، التى ينفذ من خلالها ضوء الشمس بتألقه على شكل دنانير أبى الطيب، التى تفر من البنان فوق ثيابهم. ثم يصف اصطفاف النساء بشاطئ الوادى ليشاهدن الركب السلطانى، ويركز لسان الدين عدسته على تبسم النساء وبريق ثناياهن، وجمال نظرة عيونهن، وتفننهن فى إبراز انحناء حواجبهن، ولين قوامهن وتمايلهن الذى يسلب الروض لين غصونه، فإذا هو يلتفت إلى مظهر من المظاهر التى تحرص عليها المرأة الأندلسية وتمثل الذوق العام الذى تحتفى به البيئة الأندلسية.

وتأتى المحطة التالية بوصولهم إلى «برشانة» ويصف ابن الخطيب الجموع التى استقبلتهم وحيتهم ببواكر الورود مركزاً على ملمحٍ حضارى، ومظهرٍ من المظاهر الاجتماعية فى الاستقبال على المستوى الرسمى والشخصى فى الأندلس فى عصر المؤلف.

ويصف اعتدال جو «برشانة»، وما تتمتع به من أعلام وأعيان تصدروا المشهد الأندلسى، وأنها قلعة سامية الجلال. ويصور ما قوبل به الركب من احتفال بهيج حشر له الجموع فكان عيداً وموسماً سعيداً، وباتوا «فى ليلة للأنس جامعة، ولداعِ السرور سامعة، حتى إذا الفجر تبلج، والصبح من باب الشرق تولج سرنا وتوفيق الله قائد»[1].

ويقطع الركب مرحلة تالية تبدأ من مغادرة الركب لبرشانة إلى وصوله إلى «قنتورية».

ويشير الكاتب إشارة سريعة إلى أن الطريق الذى سلكوه غير عامر فلم تكن تتلقى الركب إلا الأفواج، وتُحيِّه إلا الهضاب والفجاج.

(١) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥٤.

– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣٦.

ويصل الركب إلى محطة أخرى ألا وهى «قتورية»[١].

التى يبدأها ابن الخطيب بكلمة «ناهيك» التى تحمل الإعجاب والمدح أى كافيك فيقول: «فناهيك من مرحلة قصيرة كأيام الوصال، قريبة البكر من الآصال كان المبيت بإزاء قلعتها السامية الارتفاع، الشهيرة الامتناع، وقد برز أهلها فى العديد والعدة، والاحتفال الذى قدم به العهد على طول المدة، صفوفا بتلك البقعة، خيلاً ورجلاً كشطرنج الرقعة، لم يتخلف ولد عن والد، وركب قاضيها «ابن أبى خالد»[٢]، وقد شهرته النزعة الحجازية وليس من حسن الحجى زيه»[٣].

ويستوقفه قاضيها الأديب «ابن أبى خالد»، الذى يزهو بنفسه، ويصر على أن يصبغ نفسه بالصبغة الحجازية فى الزى واللهجة، فلاث عمامته واختتم بها وأطلقها على أنفه مثل الخطام الذى يسدل على أنف الناقة.

ويرى أن تصرفه هذا ليس من حسن العقل والحكمة، لأنه يُصر على أن يظهر بمثل هذا المظهر المضحك، الذى لا يتناسب مع بيئته، وزى وعادات وتقاليد أهل البلد، فإذا هو يشذ عن السِرب، ويجد فى هذه الشخصية فرصة للتفكه والتندر، فيقص ما دار بينهما من مداعبة، خاصة بعد أن حصره «ابن الخطيب» بين قراه أو ذمه، وحاول أن يتملص من «ابن الخطيب» ولكن بلا فائدة، فرأى أن يسكته بدجاجة يقريه بها، من خلال أسلوب حوارى سردى سهل وسلس.

---

(١) قتورية: وتقع فى جنوب «برشانة» على نهر «المنصورة» أيضاً، وورد اسمها «قتورية» والأصح «قنتورية»، يراجع: هامش مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣٦.

(٢) تراجع ترجمته فى نفح الطيب.

(٣) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥٤ –٢٥٥.

– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣٦.

ويرسم صورة فكاهية مضحكة لتلك المراسم التى صاحبت تقديم الدجاجة والتى أعقب ذبحها إثر قوله، قد ذبح غراب البين، هطول الأمطار بعد هذا الجدب والقحط التى كانت تمر به الثغور الشرقية التى كان يتهددها العدو دوماً قائلاً:

«فداعبته مداعبة الأديب للأديب، وخيرته بين خصلتى الذيب، وقلت نظمت مقطوعتين إحداهما مدح والأخرى قدح فإن همت ديمتك(...)، فقال: لست على قراى بذى حاجة، وإذا عزمت فأصالحك على دجاجة، فقلت ضريبة غريبة، ومؤونة قريبة، عجِّل ولا تؤجل، وإن انصرم أمد النهار فأسجل.

فلم يكن إلا كلا ولا، وأعوانه من القلعة تنحدر، والبشير منهم بقدومها يبتدر، يزفونها كالعروس فوق الرؤوس، فمن قائل أمها البجباية، وقائل أخوها الخصى الموجه إلى الحضرة العلية. وأدنوا مرابطها من المضرب، عند صلاة المغرب، وألحفوا فى السؤال، واشتطوا فى طلب النوال، فقلت: يا بنى اللكيعة، ولو جئتم ببازى بماذا كنت أجازى، فانصرفوا وما كادوا يفعلون، وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون، حتى إذا سُلَّت لذكاتها المُدى، وبلغ من عمرها المدى قلت: يا قوم، ظفرتم بقرة العين، وابشروا باقتراب اللقاء فقد ذبحت لكم غراب البين، وكانت البلاد الشرقية قد أخلفتها الغيوث وعدت عليها للعدو الليوث، ... وسح الغمام وانسكب»(١).

فابن الخطيب من خلال هذا المسرد الحوارى يقترب بنا من فنية القصة القصيرة بسهولة لغته التى تكاد تقترب من اللغة الدارجة ولكنها تحتفظ بفنيتها محققاً السهل الممتنع من خلال النص الرحلى.

ثم يركز زوايا التقاطه على ما حل بتلك الجهات من غيوم ورعد وقد حل السعد ويسهب فى وصف الرعود والغيوم والأمطار، وفى تلك الأجواء المطيرة يرتحل الركب السلطانى **ليبدأ مرحلة تالية من مراحل رحلته حتى يصل إلى «بيرة» فيجتاز الوادى**

(١) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥٥-٢٥٦.
-مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣٧-٣٨.

فيمر الركب بمدينة وادى المنصورة «التى نسب الوادى إليها، وعرضت مراكب تياره بين يديها وأطلالها بالية وبيوتها خاوية خالية ومسجدها بادى الاستكانة خاضع للبى على سمو المكانة، فعبرنا واعتبرنا وأبصرنا فاستبصرنا وقول أبى الطيب قد تذكرنا[1]:

أين الذى الهرمان من بنيانه ... ما قومه ما يومه ما المصرع
تتخلف الآثار عن أصحابها ... حيناً ويدركها الفنا فتتبع

ثم بدلنا هذا الوادى بالعراء»[2].

ويركز على ما ألحقه العدو من خراب وتدمير فى مدينة «وادى المنصورة» التى هجرها أهلها وحل بها الخواء والبلى، بعد أن كانت مدينة عامرة بهيجة، ومسجدها السامى المكانة الذى كان يعج بالمصلين فغدا ساكناً يدب فيه البلى والفناء، مما حدا بهم إلى العبرة والعظة وتذكر قول المتنبى عندما رأى الأهرام.

وبعد الوادى سار الركب عبر أرض عراء مخيفة، فى جو يعج بالعواصف والغيوم، وتغرق أرضه الأمطار الغزيرة، التى تلتقى مع ماء السماء الهَطُول، فيسبح الركب فيه، وتغور فى مائه وطينه الأرجل، ولا يستطيع الدليل أن يهتدى فيه، وقد غير الطين من اللباس، وتزى جميع من فى الركب به.

---

(١) شرح ديوان أبى الطيب المتنبى/للبرقوقى طدار الكتاب العربى بيروت لبنان ١٩٨٠م جـ٣ ص٩٣.
(٢) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥٦.
-مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣٩.

فيصور «ابن الخطيب» الصعاب التى مرت بها الرحلة واجتازتها لتصل الرحلة إلى «بيرة»(١).

فيقف الركب فى محطة أخرى ألا وهى «بيرة»: آخر المدن الشمالية الشرقية الغرناطية، والتى يركز سارد الرحلة على خطورة ما تتعرض له من هجمات العدو المتتالية، مما جعلها مرابطة للجهاد فى منطقة ساخنة من مناطق الصراع بل ملتهبة، والخراب الذى أحاط بنجادها يؤذن بفراقها، ولذا كان كل قاطنيها مجاهدين؛ لأنهم يحموها، ويحموا ما يليها من المدن فيقول:

«وخيمنا من بيرة حرسها الله بالثغر القصى ومحل الرباط الذى أجر ساكنه لا يحصى، بلدة عدوها متعقب، وساكنها خائف مترقب»(٢).

ثم يوضح ما تمتاز به من موارد اقتصادية، والتى تتمثل فى الثروة الزراعية والحيوانية، التى تزخر بها، ويبين أنهم أرحوا فيها يوماً صحا فيه الجو بعد ما لاقوه من العواصف والسيول، وشدة التعب والإرهاق فى نجادها المتسعة، الخربة من هجمات العدو فى طريق الذهاب، ويؤكد على تعرضها الدائم لغارات العدو فيقول: «وتجلت عقيلة الشمس معتذرة عن مغيبها مغتنمة غفلة رقيبها»(٣).

ويوضح سارد الرحلة ما يكتنف مدينة «بيرة» وطريق الخروج منها من صعوبات جمَّة قد أحاط بها الركب، وعمل على تزليلها القائم بالأمر، من خلال العديد من المشاورات، التى أسفرت عن الأخذ بأفضلها نظراً لخطورة الطريق، ووعورته وتشعب الطرق الخارجة منه.

---

(١) بيرة (vera): بلدة حصينة مرتفعة، تشرف على ساحل البحر الأبيض المتوسط عند الحدود الشمالية الشرقية لمملكة «غرناطة» وهى أقصى حدودها.

– يراجع مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب، هامش ص٤٠، وريحانة الكتاب هامش ص٢٥٧.

(٢) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥٧.

–مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٤٠.

(٣) المصدران السابقان.

خطة الخروج من «بيرة»:

ويسرد لنا ابن الخطيب من خلال نصه الرحلى خطة الانطلاق للخروج منها والإعداد لها قائلاً: «ورحلنا من الغد وشمل الأنواء غير مجتمع، والجو قد أنصت كأنه يستمع، بعد أن تمخض الرأى عن زبدته، واستدعى من الأدلاء من وثق بنجدته، وكثر المستشار»[١]، ويركز السارد على «مبدأ الشورى» الذى انتهجه السلطان وأهميته فى إدارة الأزمات.

تحديد طريق الخروج: وبعد وضع الحلول والبدائل وإقصاء الواحد تلو الواحد يقع الاختيار على أن يكون طريق العودة هو طريق «قيشر»[٢].

وتبدأ مرحلة تالية بعد الخروج من «بيرة» حتى يصل الركب إلى «وادى العبران» فيصف السارد وعورة الطريق وخطورته وما لاقوه فيه من صعوبة فى صعود الجبال الشاهقة والهبوط فجأة فى الوهاد الغائرة، ومشقة التخبط فى السبل والشعب المتداخلة فيقول: «ووقع على طريق «قيشر» الاختيار، وانتدب من الفريق، إلى دلالة الطريق، رجل ذو احتيال، يُعرف بابن هلال، استقبل بنا شِعباً مقفلاً، ومسلكاً مُغفلاً، وسلماً حرِج الدرج، سامى المنعرج، تزلق الذر فى حافاته، وتراع القلوب لتوقع آفاته، ويتمثل الصراط عند صفاته، أوعار لا تتخلص منها الأوعال، ولا تغنى السنابك فيها ولا النعال.

قطعنا بياض اليوم فى تسنم جبالها، والتخبط فى حبالها، نهوى من شاهقٍ إلى وهد، ونخوض كل مشقةٍ وجهد، كأننا فى حلم محموم أو أفكار مغموم»[٣].

---

(١) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥٧.
– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٤٠.
(٢) ورد فى ريحانة الكتاب/جـ٢ ص٢٥٧ (ينشر) بدل «قشير» وهو خطأ مطبعى.
(٣) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥٧–٢٥٨.
– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٤٠–٤١.

فيقول فى مسرده الوصفى لوعورة الطريق متفكهاً فيه با ابن أبى هلال الدليل الذى صعد بهم الجبال معرِّجاً إلى السماء وكأنه يريد اللحاق بأبيه فى السماء (البدر) مما يدل على ما تتسم به الرحلة من دعابة تتخللها على الرغم من مصاعبها ورسميتها: «ولما طال مرام العروج إلى جو السماء ذات البروج، قلت يا قوم انظروا لأنفسكم فيما أصبحتم فيه، واعلموا أن دليلكم ابن هلال عزم على اللحاق بأبيه، ثم أخذنا فى الانحدار بأسرع الابتدار، نهوى من المرقب السامى الذرى، ونهبط من الثريا إلى الثرى، ونتمثل فى ذلك المسلك الواعر بقول الشاعر:

بطريق بيرة أجبلٌ وعِقاب ... لا يرتجى فيها النجاة عُقاب
فكأنما الماشى عليها مُذنِبٌ ... وكأنما تلك العِقاب عِقاب

حتى إذا استوينا على صفحة الأرض، وتذكرنا بذلك الصراط يوم العرض، تخلصنا من السبيل الوبيل، وانتقلنا الهمز إلى التسهيل، ونزلنا والركائب قد كلَّت، والمتاعب قد حلَّت، فكانت مواقد النيران بوادى العبران»[(١)].

فكانت الاستراحة والمحطة التالية فى «وادى العبران» الذى باتوا فيه ليلتهم والذى وإن كانت أرضه مستوية إلا أنه «بقعة جديبة المرعى، ومعدن لكل عقرب تدب وحية تسعى، غير أن الله دفع مضرتها»[(٢)].

وبمفارقة «وادى العبران» تبدأ مرحلة أخرى تنتهى بوصول الركب إلى «المرية» فيمر خلالها الركب بـ «الفحص الأفيح» والذى هو محمية طبيعية فيصف ابن الخطيب بمسرد وصفى شيق رحابة هذا الفحص وبسيطه الأخضر الممدود الصرح، والذى يعجز عن وصفه لسان الشرح والذى قاموا فيه برحلة طرد وصيد يعرضها قائلاً:

---

(١) الجزء الذى يلى بيتى الشعر وهو يشمل النزول بـ«وادى العبران» إلى الحديث عن «الفحص الأفيح» ساقط من ريحانة الكتاب (يراجع جـ٢ ص٢٥٨) بينما أثبته العبادى فى تحقيقه للنص وفقاً لأكثر من نسخة اعتمد عليها فى تحقيقه (يراجع مشاهدات لسان الدين/ ص٤١).

(٢) مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٤١، وساقط من ريحانة الكتاب.

«طردنا قنيصه على طول صحبته للأمان، من حوادث الزمان، فأثرنا كل ذلق[١] المسامع ناء عن إدراك المطامع، كثير النفار مصطبر على سكنى القفار يختال فى الفروة، اللدنة[٢] الحواشى، وينتسب إلى الطائر والماشى، فغلبناه على نفسه، وسلطنا عليه آفة من جنسه، وحللنا مقادة كل طويل الباع، رحب الذراع بادى النحول، طالب بالدخول، كأنه لفرط النحول عاشق، أو نون أجادها ماشق، أو هلال سرار، أو قطعة سوار، أو خبية أسرار رمينا منه بأجله على عجله، وقطعنا به عن أمله، فأصبح رهين هوان مُطوقاً بأرجوان[٣]»[٤].

ويواصل الركب سيره فيمر مروراً سريعاً بـ «أشكوذر» ويحدد ابن الخطيب وقت مروره بها فى وضح النهار قائلاً: «ووصلنا الخطا بين مجاثم الأرانب، وأفاحيص القطا فى فحص يتلقى الساير بترحيب واصل إلى اشكوذر، حللناها والنهار غض الشبيبة، والجو يحتال من مذهب سناه فى الحلى العجيبة»[٥].

ويصل إلى المحطة التى توقف بها طويلاً ألا وهى «المرية»: أشهر ثغور الأندلس الجنوبية والتى استغرقت مدة الإقامة بها ربع مدة الرحلة، تلك المدينة التى تعرضت للعديد من حملات النصارى، وتصدت لها وكانت حائط الصد المنيع، وكان سقوطها فيما بعد فى أيدى الفرنجة فى «ربيع أول عام ٨٩٥هـ – فبراير عام

(١) ذلق: حاد.
(٢) اللدنة: الناعمة.
(٣) الارجوان: اللون الأحمر القانى.
(٤) ريحان الكتاب/ جـ٢ ص٢٥٨.
– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٤٢
(٥) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥٨، وورد فيها: «جاثم الأرانب» بدلاً من «مجاثم الأرانب» التى وردت فى مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب، ويبدو أنها خطأ مطبعى.
– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٤٢.

١٤٩٠م»[١]، إيذاناً بسقوط مملكة غرناطة، وفقد الأندلس «الثغر الغريب» كما كان يطلق عليه «ابن الخطيب».

ويبدو أن كل استقبال للركب كانت تختلف مظاهره من مدينة إلى أخرى فتنطبع مظاهره بالطابع الغالب على المدينة، ويعكس استقبال أهلها ما يغلب عليهم من عادات ومظاهر حضارية.

ويسرد ابن الخطيب توجههم للمرية ويصف اليوم الذى دخلها فيه الركب السلطانى بأنه يوم سعد اجتمع فيه عيدان، أولهما: التقاء السلطان أبى الحجاج بهم ونزوله فى بلدهم، الثانى: ما عمهم به من فضله، ووالهم به من عطفه فأزال العراقيل وأكثر العطايا وقبل الشفاعة فى كل من شفع فيه، ودفع أعذارهم وقضى حوائجهم، فكان يوم سعد مشهود ومشهور.

ويبدو أن حفل الاستقبال للسلطان وركبه بالمرية قد أُعد له إعداداً دقيقاً، فقد انتظم أهل المرية جميعهم، واصطفوا يتصدرهم مراكب كبار شيوخهم وفقهائهم، الذين تصدروا المشهد، وأصناف الأعلام والبنود التى أحاطت بساحة الاستقبال، التى تمثل جميع أنواع وطوائف المجتمع، وكان لكل منها دوره فى هذا اليوم السعيد، والحفل البهيج. ويسلط ابن الخطيب الضوء على دور تجار الروم القاطنين فيها – الذين أسرهم العدل فأحبوا فيها العيش– فى هذا الحفل البهيج بصنعهم مظلة عظيمة من الديباج تفننوا فيها، وأقاموها على عُمد الساج؛ لتكون مظلة للسلطان، وقد تفننوا فى العديد من أساليب الاحتفاء والاحتفال، ومن ذلك ما أقاموه من أروقة وسقائف، وكرامة أعدوها.

---

(١) يراجع: الروض المعطار فى خبر الأقطار/ أبى عبد الله محمد عبد المنعم الحميرى، تحقيق/ إحسان عباس، ط الثانية، ط هيدلبرغ–بيروت نشر مكتبة بيروت لبنان ١٩٨٤م، ص٥٣٧–٥٣٨.

- دولة الإسلام فى الأندلس الآثار الإسلامية الباقية فى أسبانيا والبرتغال/ محمد عبد الله عنان ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ص٣٨–٣٩.
- تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلسى/ السيد عبد العزيز سالم ط مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر بالإسكندرية ١٩٨٤م، ص٣٢–٣٣.

مما يظهر تلاحم النسيج المجتمعى فى «المرية» على الرغم من تنوعه وتباينه، الذى أثراه كما أثرى هذا الحفل، ويعكس تضافر الجهود المجتمعية مع الجهود الرسمية التى مثلتها الجموع العسكرية التى قامت بالاصطفاف، والقيام بعروض عسكرية تضىء فيها مناكبهم شارتهم العسكرية، حاملين على أعناقهم سلاحهم (قسى الفرنج)[١]، وبنودهم الشهيرة الألوان، وما كان يحركهم من شدة الحماس فى أداء تشكيلاتهم العسكرية، التى ينهوها باصطفاف كل منهم تحت رايته مرة أخرى وأدائهم التحية، ومشاركة القوات البحرية التى اصطفت فى أحسن صورة بين أيديهم الطبول والأبواق التى تروِّح بقرعها وتَهول.

واصطفاف السفن بأعلامها على طول الشط ترفرف بالبنود فى معزوفة متناغمة ومنسجمة[٢].

ويشير «ابن الخطيب» إلى المكانة التجارية والصناعية والعسكرية لـ «المرية» وخاصة فى صناعة الديباج، وضخامة أسطولها البحرى وجيشها البرى، الذى ظهر مستعرضاً لقوته وحسن تنظيمه. وما تزخر به من أعلام وشيوخ وفقهاء.

ويبدى «ابن الخطيب» تأثره بمشهد الاستقبال الجليل من خلال استهلاله لسرده بأسلوب التعجب والاندهاش المبدوء بكلمة «فيالـه» قائلاً: « فيالـه من منظرٍ بديع

(١) يسجل ابن الخطيب حقيقة عسكرية وتاريخية وهى: استعانة مملكة غرناطة بأسلحة من الفرنجة وتؤكد الوثائق التاريخية جلبها لها من مدينة «بوردو» الفرنسية بجانب ما يتم تصنيعه داخل المدن الغرناطية ومنها المرية، مما يدل ويؤذن ببزوغ النهضة الأوربية ويؤكد التفوق العسكرى الذى بدأ يظهر فى أوربا.
- يراجع: دولة الإسلام فى الأندلس/ ص٤٠.
- تاريخ مدينة المرية الإسلامية/ ص٣٢-٣٣.

(٢) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥٨-٢٦٠.
- مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٤٣-٤٤.

الجمال، أخذ بعنان الكمال، بكر الزمان، وآية من آيات الرحمن»[١]، فإذا مشاعره وأحاسيسه تُضئ هذا المشهد.

ثم يتابع السرد لمشهد آخر من مشاهد هذا الاحتفال، وهو لحظة ظهور السلطان فى قبة الديباج، واستقباله لوفود الشعب، ومثولهم بين يديه. فإذا هو يضفى عليه إجلالاً وقدسية. ويبدو أن الأندلسيين والغرب الإسلامى دأبوا على إضفائها على حكامهم والمبالغة فيها وخاصة فى العصور المتأخرة فيقول:

«حتى إذا هالة القبة استدارت، وبالقمر السعد من وجه السلطان، أيده الله، أنارت، مثلوا فسلموا، وطافوا بركن مقامه واستلموا، واجهروا بالتلبية، ونظروا من وجهه الجميل إلى سعد الأخبية»[٢].

فيصور وضاءة وجهه وجماله «بسعد الأخبية» هذا النجم المضىء الوضاء الذى يرتبط ظهوره ببداية فصل الربيع، فصل النماء والازدهار والرخاء، ويوظف هذا المصطلح الفلكى والذى تداوله الشعراء ودارت حوله العديد من الأمثال[٣]، وتداوله الرحالة فى كتب المسالك والممالك وهم يتحدثون عن منازل القمر[٤].

مما يظهر تداخل النسيج الرحلى فى رحلته بتوظيفه للمصطلحات الفلكية.

---

(١) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥٩.
-مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٤٤.

(٢) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥٩-٢٦٠.
-مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٤٤.

(٣) ومن هذه الأمثال: (سعد الخبايا تطلع فيه الحيايا)، (إذا طلع سعد الأخبية خرج الناس من الأبنية، ودهنت الأسقية، ونزلت الأحوية، وتجاورت الأبنية).

(٤) يراجع: كتب المسالك والممالك فى «منازل القمر».
WWW.almaslk.com location, pass age.
- مقال «اليوم ظهور سعد الأخبية» لسعيد معيض، جريدة الرياض، عدد ٢٠١٦/٣/٢١م.
- وأنجم السعد: هى سعد الزابح، سعد البلع – سعد الأخبية أو الخبايا، سعد السعود.

ويُظهر «ابن الخطيب» من خلال سرده لهذا اللقاء تدافع أفواج النساء إليه، وشموله لهن بعطفه ولطفه، مما يظهر مكانة المرأة فى الأندلس، ومشاركتها فى الحياة العامة، ويلقى الضوء على مستوى التعامل معهن على المستوى الرسمى فى هذا الوقت قائلاً: «وتزاحم من النساء الأفواج، كما تتدافع الأمواج، فرفع الجناح، وخفض الجناح، ومهد لهن سبيل العطف، وشملهن كنف الإشفاق واللطف»(١).

وبعد أن انتهى «ابن الخطيب» من وصف حفل الاستقبال فى «المرية» الذى يعد أطول مسرد وصفى لمراسم الاستقبال للركب السلطانى على طول الرحلة والذى ملك عليه نفسه وشغله عما سواه يتابع سرده لما شاهده بعد أن أراحوا ركائبهم واستراحوا وقاموا بجولة داخل «المرية» مركزاً على ما شاهده من معالمها الطبيعية، وأصالتها الحضارية والمعمارية قائلاً:

«ولما أرحنا واسترحنا، والعيون فى تلك البلدة سرحنا، **رأينا قيد البصر، والمحاسن** التى ترمى اللسان بالحصر، حضرة يستقبل بها الملك، ومربع يلتقى به القطار والفلك، رفعت راية الشرف القديم، وحازت على نظرائها مزية التقديم، رحيبة كصدر الحليم، متناسبة الوضع بتقدير العزيز العليم، تبرجت تبرج العقيلة، ونظرت وجهها من البحر فى المرآة الصقيلة»(٢).

ويصف لنا جولته مع السلطان وركبه فى اليوم الثالث من إقامتهم فيها لمشاهدة «قلعة المرية» الشهيرة وتفقده لها ومروره بمعلمين من أهم معالمها

(١) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٦٠.
-مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٤٤.
(٢) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٦٠.
-مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٤٤-٤٥.

المعمارية والحضارية وهما «بهو خيران»[١]، و« قصر ابن صمادح»[٢].

ويركز «ابن الخطيب» على تصدى «المرية» للعدو، الذى حاول مراراً أن يثنى قيادها، فلم يستطع قائلاً: «أشرقت العدو بريقه وسطت بفريقه، وأخذت عليه فيها يد الله ثنايا طريقه»[٣].

ويسرد ما خص السلطان به قائدها من تشريفه وترفيعه وعطاياه فى حفل جمع الخاصة والكبراء وأنشد فيه الشعراء فكان مقاماً جليلاً وعلى الهمم العربية والشيم الملوكية دليلاً[٤].

---

(١) بهو خيران: سمى باسم «خيران» مولى المنصور ابن أبى عامر، الذى تدرج حتى صار رئيسا للصقالبة، ثم استقل بولاية المرية عام (٤٠٣هـ) (١٠١٢م) فى أواخر الخلافة الأموية بقرطبة، وصار يدعى بالخليفة الفتى الكبير، وله أعمال معمارية كثيرة لا تزال آثارها باقية إلى اليوم فى «المرية»، ومن أهمها: بقايا القصر، والقلعة القديمة المسماة «بالقصبة»، وقد مدحه الشاعر الأندلسى «ابن دراج القسطلى» وتوفى خيران سنة (٤١٩هـ – ١٠١٢م).

- يراجع: الصقالبة فى اسبانيا لمحة عن أصلهم ونشأتهم وعلاقتهم بحركة الشعوبية/ أحمد مختار العبادى، ط مدريد، ١٩٥٢م.
- ديوان ابن درّاج القسطلى/ تحقيق محمود على مكى، ط دمشق ١٩٦١م.

(٢) قصر ابن صمادح: هو قصر المعتصم بالله محمد بن معن بن صمادح التجيبى وهو أشهر ملوك هذه الأسرة وحكم المرية فى عصر ملوك الطوائف، وكان محباً للعلم والآداب وبلاطه حافل بالشعراء والكتاب أمثال ابن الحداد، وابن شرف البرجى، وكان أولاده ينظمون الشعر منهم ابنه «رفيع الدولة» وابنته الأميرة «أم الكرام»، وتوفى سنة (٤٩٩هـ) عندما غزا المرابطون مملكته وهو على فراش الموت.

– يراجع: الذخيرة/ لابن بسام/ جـ٢ القسم الأول ص٢٣٦.

(٣) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٦٠.

–مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٤٥–٤٦.

(٤) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٦٠.

–مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٤٥–٤٦.

ويذكر مدى تعلقهم بهذه المدينة، وتعلق المدينة وأهلها بهم عند رحيلهم من خلال أسلوب مترع بالمشاعر والأحاسيس، يعبر عن مدى تفاعلهم مع المكان، وتفاعل المكان معهم قائلاً:

«وكان الرحيل عن تلك المدينة لا عن ملال، ولا عن ذم خلال، ولكن مقام بلغ أمد، ورحلة انتهت إلى مدى.

أقمنا بها يوماً ويوماً وثالثاً ويوم له يوم الترحل خامس[1]

فيا لها من خمسة علَّقها الدهر تميمة على نحره، وأثبتها معوذة فى قرآن فخره، كانت لياليها معطرة النواسم، وأيامها كأيام المواسم. وثنينا الأعنة إلى الإياب، وصرفنا إلى أوطاننا صدور الركاب، فكم من قلب لرحيلنا وجب، لما استقل ووجب، ودمع لوداعنا عظم انسكابه، لما رمت للبين ركابه، وصبر أصبح من قبيل المحال عند زم الرحال، وإلف أنشد بلسان النطق والحال:

ومضى وخلف فى فؤادى لوعة تركته موقوفا على أوجاعه
لم استتم سلامه لقدومه حتى ابتدأت عناقه لوداعه[2]

وانصرفنا وعروشها تتعلق بأذيالنا، ومخاضات واديها تعترض صدور رجالنا، ورياحها تدافعنا عن المسير ومعالمها تقنع من إلمامنا ولو باليسير»[3].

وتأتى جملة «وثنينا الأعنة إلى الإياب» لتجعل «المرية آخر محطة فى رحلة الذهاب، ونقطة الانطلاق لرحلة الإياب».

---

(١) ديوان أبى نواس/ ط دار صادر – بيروت لبنان (د.ت) ص٣٦١.

(٢) ديوان كشاجم/ محمود بن الحسين (ت.٣٦٠هـ) دراسة وشرح وتحقيق النبوى عبد الواحد شعلان، ط الأولى، مكتبة الخانجى بالقاهرة، ١٤١٧هـ -١٩٩٧م، ص٢٦٧.

(٣) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٦٠-٢٦١.

– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٤٦-٤٧.

ثانياً: رحلة الإياب مراحلها ومحطات توقفها: وهى فى «خطرة الطيف» يختلف اتجاهها عن رحلة الذهاب، لاختلاف الأماكن التى تمر بها الرحلة، ولا تتفق إلا فى آخر مكانين «وادى آش»، و«وادى فردس» اللذين يسبقا الوصول إلى نقطة البداية «قصر الحمراء» بـ «غرناطة».

وتبدأ أول مرحلة من مراحل رحلة الإياب من الخروج من «المرية» حتى الوصول إلى «مرشانة»[١]، فيبدأ «ابن الخطيب» بسرد مرور الركب بـ **«وادى بجانة»**[٢] ذلك الوادى الذى يأخذ بلُب السارد فيراه آية من آيات الجمال ويصفه قائلاً: «واستقبلنا وادى بجانة، وما أدراك ما هو، النهر السيال، والغصن المياد الميال، والأفياء والظلال. المسك ما فتَّ فى جنباته، والسندس ما حاكته يد جناته، نعمه واسعة، ومساجده جامعة، أزرت بالغوطتين زياتينه وأعنابه، وسخرت بشعب بوان شعائبه، بحيث لا تبدو للشمس آيات، ولا تتأتى للحرباء حيات[٣]، والريح تلوى أعطاف غصون البان على أرداف الكثبان[٤]، وتجاذب عرايش الخمائل فضول الغلائل إلى مرشانة»[٥].

---

(١) مرشانة: حصن حصين فى مقاطعة «المرية» وهناك حصن آخر بهذا الاسم فى مقاطعة (إشبيلية»، ويقال لها: مرسانة، ومرشانة.
يراجع: الروض المعطار/ ص٥٤٢.

(٢) بجانة: قرية ساحلية فى شمال المرية بنحو ١٠ كم، ووديها وادى خصب، وهو وادى بجانة.
- يراجع: الروض المعطار/ ص٧٩-٨٠، ص٥٣٨.
- معجم البلدان/ ياقوت الحموى تحقيق فريد عبد العزيز الجندى الطبعة الأولى ط دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ١٤٠١هـ-١٩٩٠م، جـ١ص٣٠٤.

(٣) ورد فى الإحاطة «حياه» بينما فى مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٤٧ حيات، مراعاة لتجانسها مع الفقرة التى تسبقها.

(٤) ورد فى مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٤٧ الكتان بدل الكثبان، ويبدو أنه خطأ مطبعى.

(٥) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٦١.
- مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٤٧.

والمحطة الأولى التى وقف بها الرحالة مع ركبه السلطانى فى رحلة الإياب هى: «مرشانة» التى لم يستطع «ابن الخطيب» أن يعطينا عنها إلا صورة عامة؛ لأنهم نزلوا بها للمبيت مع دخول الليل فى أجواء مطيرة ملبدة بالغيوم التى حلت سموطها، ومدت عناكب السحاب خيوطها، ورحلوا عنها مع بزوغ أول ضوء ولذا يركز على ارتفاعها، وبياض أبنيتها وبروزها قائلاً: «هى الكوكب الأعلى، والأشهب المحلى، والصباح إذا تجلى، والعروس على المنصة تجلى»(١).

وتبدأ المرحلة الثانية من مراحل رحلة الإياب بمغادرة «مرشانة» حتى الوصول إلى «فنيانة»(٢)، فيصف الطريق الذى سلكوه بعد أن غادروا «مرشانة»، وما لاقوه فيه من صعاب قائلاً: «واستقبلنا الوادى نجعله دليل تلك الطريق، ونتبعه فى السعة والضيق، فكم مخاضة منه عبرنا، وعلى مشقتها صبرنا، حتى قطرت الأذيال والأردان، وشكت أذى الماء بالأبدان، وتوفرت دواعى(٣) الضجر، لملازمة الماء والحجر، ونسينا بمعاناته ألم البعاد، وذكرنا ببرده وإعادته مثلهم فى الحديث المعاد، اللهم غفراً»(٤).

---

(١) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٦١.
– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٤٨.

(٢) فنيانة: تعرف بالحصن، وتقع فى مقاطعة «المرية» على مسافة ٣٠ كم، جنوب شرق «وادى آش».
– الروض المعطار/ ص٤٤١.

(٣) ورد فى مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٤٨: «ذو الضجر» بدل: «دواعى الضجر» الواردة فى ريحانة الكتاب والتى أثبتناها لمناسبتها للنص.

(٤) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٦١-٢٦٢.
– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٤٨.

وعلى الرغم من تلك الصعوبات إلا أنه لا يستطيع إلا أن يقول فيه: «فضله مديد، ومنظرٌ فى الحسن فريد، وقد راق شأنه، وتصاف على الشط سكانه، فرأينا الحور تحت سماط الحور، والنور فوق بساط النور»(١).

فقد أسره جمال هذا الوادى، وجمال وحسن ساكنيه، وهم مصطفون على طول الشاطئ يتلألئون تحت سماط العنب المتلألئ «الحور» ببياض بشرتهم، ووضاءة وجوههم وتلألأ وصفاء عيونهم «النور» على بساط الوادى المترع بنور زهوره.

ويستغرق اجتياز هذا الوادى نصف يوم، ذاقوا فيه من المشقة ما فوق الوصف، ولكنهم بعد أن اجتازوا صعابه، تخلصوا من الكمد، ولم يبق إلا التعب.

ويمر الركب مروراً سريعاً بمدينة «عبلة»(٢)، التى لم يقل الكاتب عنها إلا: «وشارفنا دار عبلة بالعلياء فالسند واستقبلنا عبلة».

وكذلك بـ «لورسانة»: التى ذكر فقط اسمها دون أى رسم من رسمها.

ليصل الرحالة إلى محطة أخرى فى رحلته ألا وهى «فنيانة» التى أناخوا ركائبهم بظاهرها ونزلوا بها والشمس يراودها الغروب والتى يصف حالهم فيها قائلاً: «وقد عظم الهياط والمياط(٣)، وسطا الكلال بالنشاط. وبتنا والشيح وسائد مضاجعنا، وشكوى التعب حلم هاجعنا»(٤)، وهكذا يسيطر تعبهم على المشهد ويسيطر على قلم الكاتب ليُسطَّره، ولا يلتفت فى المكان إلا للشيح، الذى جعلوه وسائد.

---

(١) المصدران السابقان.

(٢) عبلة: واسمها القديم (Alba) وحرفها العرب إلى عبلة، ويحيط بهذا المكان حتى «وادى آش» جبال تعرف بالسند، وتقع مدينة عبلة فى جنوب شرق فنيانة.

(٣) الهياط والمياط: الاضطراب، والذهاب، والمجيء، والجلبة.

(٤) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٦٢.
– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٤٩.

وتمر رحلة الإياب بمرحلة أخرى من الخروج من «فنيانة» إلى الوصول لمدينة «وادى آش» عبر سهل يصفه بكونه بساط ممدود وهو السهل الموصل لمدينة **«وادى آش».**

المحطة قرب الأخيرة لرحلة الإياب: وهى الوقوف بمدينة «وادى آش» يرى الكاتب أنها تداركت ما فات من الاحتفاء الرسمى بركب السلطان فصوراً مدى الازدحام الذى ضاقت به ساحة الاحتفال، واختلاط النساء بالرجال، وما رفع من بنود، واختلاط ضياء السلاح بضياء العيون الملاح وحمرة خدود الحسان بحمرة الورود مركزاً على جمال نساء وادى آش.

وتبدأ المرحلة قبل الأخيرة برحلة الإياب بالسير من مدينة «وادى آش» إلى «وادى فردس»، وتمر مروراً سريعاً وتقترب رحلة العودة من النهاية **وتصل إلى المحطة قبل الأخيرة وهى «وادى فردس»** ولا يركز ابن الخطيب على وصف الوادى كما اهتم فى رحلة الذهاب ولكن اهتم بالوفود التى تدفقت لتهنئ السلطان بسلامة الوصول، فقد وصل الركب إلى منازله المعتادة، فهم على مشارف «غرناطة»، و«قصر الحمراء» الذى كان نقطة الانطلاق قائلاً: «فنزلنا بوادى «فردس» منازلنا المعتادة، وقلنا رجع الحديث إلى قتادة، وبها تلاحقت وفود التهانى، وسفرت وجوه الأمانى، تزلنا منه بالمروج فتفتحت بها أزهار القباب البيض فى بساطها العريض»[1]، فهو يربط بين نزول ركب السلطان وتفتح الأزهار، ويفتح هذا المشهد لكاتبنا أن يربط بين دخول الربيع وتفتح الأزهار وظهور نورها وسير نور مليكه وحلول الرخاء أينما حل فى قصيدته التى ارتجلها لتخلد رحلة السلطان فيقول: «وخطرة ببالى مقطوعة فى

(١) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٦٢-٢٦٣.

- مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٥٠.

مخاطبة المولى، أنجح الله عمله، ويسر من فضله أمله، أثبتها على حكم الاستعجال وأوجفت على بيوتها خيل الارتجال:

إذا سرت سار النور حيث تعوج ... كأنك بدرٌ والبلاد بُروج
لك الله من بدرٍ على أفق العُلى ... يلوح وبحرٌ بالنوال يموج
تفقَّدت أحوال الثغور بنيَّة ... لها نحو أسباب السماء عروج
وسكنتها بالقرب منك ولم ... تزل تهيم هوى من قبله وتهيج
فكم قلعة قد كلل النور تاجها ... ورُفَّ عليها للثبات نسيج»[1]

ويصور «ابن الخطيب» فى نهاية رحلته فرحتهم بقرب الديار وحنين الركب إلى الأهل خاصة وقد دنت الديار بقوله: «وبتنا نتعلق بأنفاس الحضرة العاطرة، ونستظل بسمائها الماطرة، ونعلن بالاستبشار، ونحن إلى الأهل حنين العشار:

أبرح[2] ما يكون الشوق[3] يوماً ... إذا دنت الديار من الديار»[4]

وتبدأ المرحلة الأخيرة بالانتقال من «وادى آش» إلى «غرناطة نقطة النهاية والبداية.

---

(١) المصدران السابقان.

(٢) ورد فى الريحانة «أقرب» بدل «أبرح» التى وردت فى تحقيق العبادى فى مشاهداته، والأدق «أبرح» لموافقتها لنص أبيات «إسحاق بن إبراهيم الموصلى» الواردة فى الأمالى لأبى على القالى، ط دار الكتب المصرية ١٩٢٦م، جـ١ ص٥٥.
– معجم الأدباء/ ياقوت الحموى جـ٢ ص٦٠٥.

(٣) وردت فى المشاهدات «للشوق» والصواب «الشوق» كما ورد فى ريحانة الكتاب مراعاة للوزن وموافقة لأصل النص الوارد فى الأمالى، ومعجم الأدباء.

(٤) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٦٣.
– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٥١.

نهاية الرحلة وتصل الرحلة إلى المحطة الأخيرة التى كانت نقطة البداية وهى مدينة «غرناطة» التى من اشتياقهم للوصول إليها، هموا بدخولها ومازال الليل قد ترك بقية. ويحدد كاتبنا موعد دخولهم «غرناطة» التى أنست النفوس بها بعد اغترابها بقوله: «فلما تبسم زنجى الليل عن ثغر الفجر، وشب وليد الصباح عن عقد الحِجر، ولحظتنا ذكاء بطرفها الأرمد، وقد ترك[١] الليل فيها بقية الأثمد، استقبلنا الحضرة حرسها الله فأّنست النفوس بعد اغترابها، واكتحلت العيون بإثمد ترابها»[٢].

ويصفها بمسرد وصفى غاية فى الروعة[٣]، مصوراً رحابة ساحاتها، وجمالها الباهر ومكانتها السياسية، والتاريخية، وموقعها، ومناعتها.

لوحة الختام والتأريخ لانتهاء الرحلة: يحدد الكاتب فى الخاتمة تاريخ انتهاء الرحلة الذى حط فيه الركب رحله بعد أن حدد ساعة الوصول إلى نقطة النهاية «بداية بزوغ الشمس» بقوله مؤرخاً لنهاية الرحلة باليوم والشهر والعام: «هنا انتهى التقييد والحمد لله على ما سناه من صنيع جميل، وأولاه من بلوغ تأميل، وذلك يوم الأحد الثامن لصفر عام ثمانية وأربعين وسبعمائة، والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى.

تمت خطرة الطيف، والحمد لله وصلى الله على مولانا محمد وآله وصحبه تسليما طيباً»[٤].

وبذلك يؤكد «ابن الخطيب» تمام رحلته.

---

(١) ورد فى مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٥١ (بقى) بدل (ترك) التى وردت فى ريحانة الكتاب جـ٢ ص٢٦٣.

(٢) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٦٣.
– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٥١-٥٢.

(٣) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٦٣ -٢٦٤.
– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٥٢.

(٤) مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٥٣.
– ولم ترد هذه الخاتمة التأريخية فى ريحانة الكتاب. =

التى استغرقت عشرين يوماً، وسجلها من خلال نصه الرحلى بتركيز وتكثيف لتقرأ فى بضع ساعات، ينتقل فيها المتلقى عبر العديد من المدن والوديان، ويعبر فيها الجبال من السفوح إلى الوديان، يشاهد فيها الاحتفالات والعواصف والأنواء، والصحو والإشراق، والقفار وسهول الأنهار، والمعالم المعمارية والحضارية، وآثار الدمار، والليل والنهار، ويشعر بالبرد وهطول الأمطار وقيظ الحر والهجر وألم الفراق بعد اللقاء، يتنفس فيها المسك وعبير الأزهار، ويرى الرياض والجناب، ويرى الصحراء والعقارب والحيات، ويرى صمود المدن والقلاع، واقتلاع مدن وخراب ديار، يلاقى بحور من الكرم ويقف على الإمساك، يستمتع بالدعابة والفكاهة مع الجد والمعاناة، يعانى الصعاب ويرفل فى النعيم والرخاء، يستمتع بالشعر والنثر والسرد والأخبار، يعيش حاضر الرحَّالة والرحلة ويستدعى ماضيها مع حاضره، ليتنفس فيها عبق الماضى، ويجول بخياله وفكره عبر الواقع الآنى وفضاء الرحلة وتداخلات الزمان.

هذه الرحلة التى يغلب فيها الجانب المبهج، على الجانب القاتم من الحياة من خلال أحداث ووقائع حقيقة مرت من خلال مشاعر أديب دقيق حساس بث فيها من روحه وصورت كلماته أدق المشاعر والأحاسيس ووصفت المدن، والطرق، ومعالم الحياة، ووضعت أيدينا على العديد من القيم، وأوقفتنا على التقاليد فى معزوفة شاعرية منسجمة الكلمات والصور والأنغام فى سياق متماسك ومترابط يقضى كل مرحلة منه إلى محطة، وتؤذن مغادرة المحطة ببداية مرحلة من مراحل الرحلة حتى نهاية النص بانتهاء الرحلة وظهور لوحة الختام.

❁❁❁❁

= ويبدو أن النسخة التى اعتمد عليها المحقق لم ترد فيها مع أنها وردت فى العديد من المخطوطات مثل مخطوطة الأسكوريال ومخطوطة المغرب وغيرها من المخطوطات.

المبحث الثالث

خطاب الرحلة سماته وخصائصه الفنية

«خطرة الطيف» نص رحلى بجدارة، فهو يتوافر فيه جميع مكونات وخصائص أدب الرحلة وفقاً لرؤى أحدث المذاهب النقدية من حيث البنية ومكوناته وخصائصه الفنية بالإضافة إلى خصائص وسمات خاصة ميزته عن غيره من نصوص الرحلة.

أولاً: السمات والخصائص الفنية التى تجعلها تتماشى مع أحدث الرؤى النقدية وتتمثل فى:

أولاً: السفر فيها بنية مركزية مهيمنة:

السفر بنية فاعلة فى نص «خطرة الطيف» وهى بنية رئيسة وليست عارضاً فهى تتحكم فى النص من البداية إلى النهاية، فهى المنظمة لمسار الرحلة ولمسار الكتابة الرحلية المواكبة لها.

فهى بنية مركزية مهيمنة على غيرها من البنيات التى تدور فى فلكها. فخطاب الرحلة «يتماهى[1] مع الرحلة وعوالمها ويسعى إلى مواكبتها من البداية إلى النهاية» فهو يبدأ بتحديد أسباب الرحلة، ودوافعها، وزمن الخروج ومكانه، وكلما انتقل الرحالة فى المكان واكب الخطاب هذه التحولات وصولاً إلى نهاية الرحلة والرجوع إلى نقطة الانطلاق»[2]، فنص «خطرة الطيف» «تلفيظ لفعل الرحلة»[3].

وقد اتضح ذلك بوضوح من خلال عرض وتتبع نص «خطرة الطيف» فى المبحث الثانى من الدراسة.

---

(١) يتماهى: «يتماثل مع الرحلة ويجانسها ويلائمها».

(٢) خطاب الرحلة العربى ومكوناته البنيوية/ سعيد يقطين، مجلة «علامات فى النقد»، يصدرها النادى الأدبى بجدة، العدد التاسع، المجلد الثالث سبتمبر ١٩٩٣م، ص١٧٠.

(٣) المرجع السابق/ص ١٧١.

ولذا فهو يختلف عن غيره من النصوص التى تستثمر فعل السفر وتوظفها فى خطاب مختلف، مثل: «المقامة» و«القصة» و«الرواية» و«الخبر» وغيرها من المعارف الأخرى مثل: «التاريخ» «الجغرافيا» و«وصف المجتمعات».

فنمطية التأليف كما يقول «عبد الرحيم مؤذن»: «هى التى تجعل النص يندرج تحت جنس يستقل ببنائه وخصائصه الفنية»(١).

ثانياً: بنيتها بنية مركزية جاذبة لغيرها من النصوص ومهيمنة فنص «خطرة الطيف» على مستوى المضمون يحتوى على معارف متنوعة دينية وتاريخية وجغرافية وأدبية واجتماعية واقتصادية وفلكية، وعلى مستوى الأشكال يتداخل فى بنائه السرد والوصف والقص والأخبار والأشعار.

فرحلة «خطرة الطيف» طبقات من النصوص والأساليب والمعارف والمواقف، فهو نص مهجن بالمفهوم الباختينى(٢)، الذى يتنافى وتفاعل النصوص، بحكم خضوعها للحوار الدائر عبر مراحل تاريخية مختلفة (٣) نجد ذلك بوضوح على مدار مراحل النص وعبر محطاته مثل حديثه عن «وادى آش»(٤)، وعن «غرناطة» بقوله: أم البلاد والقواعد، وملجأ الأقارب والأباعد، قعدت مقعد الوقار، ونظرت إلى الأرض بعين الاحتقار، ومدت إليها البلاد أكف الافتقار، نصبت من الجبل، منصة، قعدت عليها وقامت، وصادف الفريق فى ذلك البسيط بين يديها، فمن ذا يدانيها ويداريها، أو

(١) مستويات السرد فى الرحلة المغربية خلال القرن التاسع عشر/ عبد الرحيم مؤذن، رسالة دكتوراه بالرباط عام ١٩٩٥م، ص٢٣.

(٢) يراجع: الخطاب الروائى/ باختين ترجمة محمد برادة ط دار الأمان بالرباط ١٩٨٧م، ص٨، والذى يرى أن الجنس الأدبى لا يحتفظ بنقائه فهو يجمع بين عدة أجناس أدبية دفعة واحدة.

(٣) الرحلة المفهوم والجنس الأدبى/ عبد الرحيم مؤذن، جريدة طنجة الأدبية، عن شهر فبراير ٢٠٠٤م.

(٤) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥٠، مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٢٨-٢٩.
- فنون النثر الفنى فى آثار لسان الدين ابن الخطيب/ جـ٢ ص١٨٠.

يناهضها فى الفخار أو يجاريها، وهى غاب الأسود، والأفق الذى نشأت فيه سحاب الجود، وطلعت به من الأمراء السعود أنجم السعود[1]، سيدة الأمصار ودار الملوك من أبناء الأنصار، ومصرع الطواغيت، والكفار، والعمد الذى استودع بسيوف الله دامية الشفار، ولله در بعض شيوخنا فقد عبر عنها ببيانه، واعتذر عن بردها فى أوانه حيث يقول:

رعى الله من غرناطة متبوأ ... يسرُّ كئيبا أو يجير طريداً
تبرم منها صاحبى عندما رأى ... مسالكها بالبرد عدن جليداً
هى الثغر صان الله من أُهِّلت به ... وما خيرُ ثغر لا يكون برودا

وصنا والجو مصقول كالفرند، والسماء كأنها لصفائها مرآة الهند، فى بروز أخرج الحلى من الأحقاف، وعقد أزرار الحُلل على الأعناق، وأطلع أقمار الحسن على الآفاق، وأثبت فخر الحضرة بالإجماع والإصفاق، على دمشق الشام، وبغداد العراق.

(١) أنجم السعود أو «السعودات الأربع» التى تحدثت عنها كتب الجغرافيين والرحالة فى كتب المسالك والممالك عند تعرضهم لمنازل القمر. وكذلك تحدث عنها علماء الفلك وهم أربعة نجوم فى كوكبة الدلو يظهروا على مدى خمسين يوماً، ويطلقوا عليها خمسينية الشتاء، وكل نجم يظهر لمدة ١٢ يوماً ونصف وهم «سعد الذبيح» ويظهر من ١ فبراير إلى ١٣ فبراير، و«سعد البلع» ويظهر من ١٣ فبراير إلى ٢٥، و«سعد السعود» ويظهر من ٢٦ فبراير إلى ١٠ مارس، وهو الأكبر والأكثر تألقاً، و«سعد الخبايا» وهو الذى يأتى مع بداية دخول فصل الربيع، ويظهر من ١٠ مارس إلى ٢٢ مارس، وقد حيكت حولهم القصص وصيغت الأمثال، وهى أسماء أطلقها العرب وكان لها تأثيرها فى المخيلة العربية.

- يراجع: هذه قصة «سعد الخبايا» الجزء الأخير من خمسينية الشتاء (موقع طقس العرب).
- مقال يوم ٢٠١٦/٣/٧ www.Arabia weather.com.,
- خمسينية الشتاء/ عماد مجاهد، جريدة الدستور عدد ٧ –٣ – ٢٠١٣م.

حتى إذا بلغنا قصور المُلك، وانتهينا إلى واسطة السلك، وقفنا مهنئين ومسلمين، وقلنا ادخلوها بسلام آمنين، وألقت عصاها، واستقرت بها النوى، كما قر عيناً بالإياب المسافر»[1].

فهو يصف مكانتها فهى العاصمة وموقعها الجغرافى على الجبل وكونها تشرف على سهل نهر «شنيل» الذى يفرق المدينة والذى يشق السهل إليها.

وعلى مكانتها السياسية أم البلاد والقواعد وكونها ملجأ سياسياً يؤمها السياسيون من المغاربة والأفرنجة والمتتبع لتاريخ غرناطة وتاريخ المغرب ومملكتى قشتالة وأرجوان يجد أسماء عديدة قد لاذت بها.

وتاريخ ملوك «غرناطة» ونسبهم الذى يمتد إلى الأنصار من خلال اطلاعه على علم الأنساب «سيدة الأمصار ودار الملوك من بنى الأنصار».

ويستحضر علم الفلك والنجوم من خلال إيراد «سعد النجوم» التى ترتبط بالأنواء والعواصف وانقشاعها وبفصلى الشتاء والربيع.

وبالعديد من الأمثال العربية المرتبطة بالوجدان العربى وما تدور فيه من نصوص وأشعار.

ويعرج على انتصاراتها على الإفرنج (ومصرع الطواغيت والكفار...» وتاريخ الصراع بين دولة الإسلام ودولة الفرنجة الصليبيين الذى يصفهم بالشرك والذى يظهر من خلاله زاوية من زوايا رؤيته للآخر.

ويستحضر شعر أستاذه «ابن شبرين» الذى يشيد فيه بـ«غرناطة» وجمالها وكونها ملجأ للسياسيين الذين لفظتهم أوطانهم أو أتوا منها فارين والتى على الرغم من شدة بردها فى أوانه «الشتاء» أثنى عليها وأشاد بها عند نزوله فيها فى عهد السلطان «أبى الحجاج» بقوله:

---

(١) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٦٣-٢٦٤.

- مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٥٢-٥٣.

رعـــى الله غرناطـــة متبـــوأ يســرُّ كئيبــا أو يجيــر طريــدا[1]

ويردف هذا النص الشعرى بحديث عن جمال جوها، وحسنها الذى فاق الآفاق مفضلاً إياها على «دمشق» الشام، تلك العاصمة الأموية الرائعة، وعلى «بغداد» العراق عاصمة الدولة العباسية؛ بارزاً التنافس الثقافى والأدبى والحضارى بين المشرق والمغرب الإسلامى، والمحاولات الدؤوب من الغرب الإسلامى للتفوق وإثبات الذات فى شتى المجالات، والذى يعطينا إضاءة قوية على مدى تأثر الغرب الإسلامى بالشرق، ورسوخه فى الذاكرة الثقافية لديهم.

ويُظهر مدى انتمائه إلى تلك المدينة التى قضى فيها شبابه وحقق من خلالها نجاحاته وعلى شدة حبه لوطنه.

كما يتناص مع آيات القرآن «وقلنا: ﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾[2] تلك الآية التى ترتبط بالبُشرى والتفاؤل.

ثالثاً: بنيتها بنية سردية، لأنها قائمة على الحكى فهى تنقل أحداثاً وأفعالاً قامت بها الذات الكاتبة (ابن الخطيب).

وهذه الأحداث والأفعال هى (انتقال من نقطة الانطلاق ثم العودة إلى نهايتها) كما تبين من عرض الرحلة فى المبحث الثانى، «فكان البروز إليها يوم الأحد سابع

---

(١) وردت الأبيات من قصيدة لابن شبرين/ «أبى بكر محمد بن شبرين» السبتى الإشبيلى الأصل، وكان مؤرخاً شاعراً وهو من شيوخ ابن الخطيب.

- تراجع: ترجمته فى الإحاطة/ جـ١ ص١٠٤.
- نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب وشاعرها ابن الخطيب/ المقرى، تحقيق إحسان عباس ط دار صادر بيروت ١٩٩٧م.
- تحفة النظار فى غرائب الأمصار/ لابن بطوطة ط الأكاديمية المغربية الرباط ١٤١٧هـ جـ٤ ص٢٢١.

(٢) الآية ٤٦ من سورة الحجر.

عشر المحرم فاتح عام ثمانية وأربعين، خرجنا وصفحة الأفق بالغيم منتقبة، وأدمع السحب لوداعنا منسكبة، نتبع من الراية الحمراء دليلاً هادياً(...) يكثر الالتفات ويتذكر لما فات، ويبوح بشجنه وينشد مشيراً إلى سكنه(...) ثم استقلت بنا الحمول، وكان بوادى فردوس النزول(...) وشرعنا فى السير الدائب، وصرفنا إلى وادى آش(...)»[1]، وهكذا إلى قوله فى نهاية الرحلة عند وصوله غرناطة ووصولهم إلى قصر الحمراء: «وصلناها والجو مصقول(...) وانتهينا إلى واسطة السلك، وقفنا مهنئين ومسلمين، وقلنا ادخلوها بسلام آمنين، وألقت عصاها، واستقر بها النوى، كما قر عيناً بالإياب المسافر»[2].

والمسيرة السردية فى «خطرة الطيف» تتخللها محطات يتوقف فيها السارد؛ ليفسح المجال لمكونات أخرى مثل: وصف المكان أو الطريق أو المدينة أو تقديم طرفة أو حكاية أو ليسوق شعراً فى إطار السرد الذى يعود للسرد والجريان.

رابعاً: الذاتية

تتواجد ذات الرحالة «ابن الخطيب» فى «خطرة الطيف» تواجداً بارزاً، وتحضر حضوراً تاماً؛ لأن رحلة «خطرة الطيف» حكياً لسفر قام به ابن الخطيب، ولذا كان هو المركز فى الحل والترحال. واصطبغت رحلته برؤاه ومشاعره وأحاسيسه منذ بداية الرحلة، وعبر مراحلها المختلفة فى تصويره لأحداث رحلته، ووصفه لمشاهداته، فهو تصوير ووصف من خلال رؤيته الخاصة ومشاعره، وثقافته التى تمثل ثقافة عصره.

(١) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٤٨-٢٤٩.
- مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٢٦-٢٨.
(٢) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٦٤.
- مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٥٣.

ولذا نجد أن رحلة «خطرة الطيف» تعكس شباب قائلها، وتدفقه وحيويته، التى تنعكس على قفزاته السريعة بين مراحل رحلته، وتدفق وصفه، ولغته وصياغته، وتتابع صوره.

ومن ذلك قوله يصف وصول الرحلة إلى مدينة «بسطة» : «وكان ملقى الحران منابت الزعفران «بسطة»، حرسها الله، وما بسطة محل خصيب، وبلدة لها من اسمها نصيب (...) يا لها من عقيلة، صفحتها صقيلة وخريدة، محاسنها فريدة، وعشيقة، نزعاتها رشيقة، لبست حلى الديباج الموشى، مفضضة بلجين الضحى، مذهبة بنضار العشا، وسفرت عن المنظر البهى، وتبسمت عن الشنب الشهى، وتباهت بحصونها مباهاة الشجرة الشماء بغصونها فوقع النفير، وتسابق إلى لقائنا الجم الغفير(...) **فلا أقسم بهذا البلد** وحسن منظره الذى يشفى من الكمد لو نظر الشاعر إلى نوره المتألق لآثارها بقوله فى صفة جلق(...)»[1].

هكذا تظهر ذاتية وشخصية لسان الدين معبراً عن إعجابه بهذه المدينة وانبهاره بجمالها، وانطلاقه وتدفق حيويته.

فقد صاغها وهو لم يناهز الخامسة والثلاثين من عمره، فى حقبة حقق فيها ذاته، وأصبح من أبرز كتاب الديوان الذى يعول عليهم أستاذه «ابن الجيار» رئيس الديوان، وضمه السلطان إلى ركبه الجهادى، الذى لا يضم إليه إلا خيرة الفرسان وأصحاب الهمم والإقدام.

وكانت الدولة الغرناطية فيها فتية بفضل سلطانها «أبى الحجاج يوسف»، الذى اهتم بالحملات الجهادية، التى أمَّن بها ثغور المملكة، وحقق من خلالها العديد من الانتصارات، فوجد «ابن الخطيب» نفسه بعد أن ضمه السلطان إلى ركبه الجهادى، بعد التحاقه بالديوان بثلاث سنوات أى عام (٧٤٤هـ)، فشاركه فى العديد من المعارك

(١) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥١-٢٥٢.
- مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣١-٣٢.

ضد جحافل الصليبيين، الذين يصفهم «بالأعداء» و «العدو» و «المشركين» و«الشرك» ويصف صدى هجماتهم على الأراضى الغرناطية وما ألحقوه بها وبأهلها من دمار وذعر وترحيل وقهر وجدب.

فنجد مشاعر الغضب والبغض للعدو تملأ نفسه التى عاشت معاناة وطنه ومعاناة فقْد أبيه وأخيه واستشهادهما فى معركة «طريف» إحدى معارك العدو.

وقوله: «وكانت البلاد الشرقية قد أخلفتها الغيوث، وعلت عليها للعدو الليوث، فحيتنا على الشحط، وشكت إلى سعادة مقدمنا معرة القحط، فظهرت مخلية السعد، **فأذن الله فى انجاز الوعد**، وقربت عزيم الغمائم فى المقام أعوان الرعد، فاعترف وسمح، وانقاد لحكم القضاء بعد ما جمح...»[1].

وهذه الذاتية ميزتها عن غيرها من الأنواع السردية التى تختفى فيها شخصية المؤلف مثل: المقامة والرواية والقصة وغيرها.

خامساً: الحكى بضمير المتكلم وهذا تجلى من تجليات حضور الذات فى الكتابة الرحلية فنظراً لأنها رحلة جماعية مع الركب السلطانى فهو يتكلم بضمير المتكلم «الجمع» النحن، النابع من الأنا ومن خلال رؤيته الخاصة فى الأغلب حتى فيما ينشده من أشعاره يقول وأنشدنا، واستقبلنا، ثم استقلت بنا الحمول، وتناشدنا، نحمد الله حمداً...» على امتداد مسار الرحلة، لأنه فى رحلة تفقدية جهادية تستلزم التحرك الجمعى، وليست رحلة شخصية حرة كما فى نفاضة الجراب، ولذا وفق «ابن الخطيب» فى اختيار ضمير المتكلم «الجمع» الذى يتناسب مع طبيعة الموقف، وطبيعة شخصيته التى تشعر بالامتلاء الذاتى والاعتزاز؛ فإذا هو لسان السلطان وركبه الذى يعبر عن رحلتهم من خلال مشاعره وأحاسيسه الخاصة.

(١) ريحانة الكتاب، جـ٢ ص٢٥٥-٢٥٦.

- مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣٧.

ويتخلله بين الحين والآخر الحكى بضمير المخاطب «المفرد» عندما يقص حدث أو قصة أو موقف خاص به مثل قصته مع قاضى قنتورية «ابن أبى خالد» «فداعبته وقلت، نظمت، فقلت، أجازى، ذبحت»(١).

وفى تفكهه ودعابته لابن أبى هلال : «قلت: يا قوم...»(٢).

وقوله مقدماً للقصيدة التى أنشدها ارتجالاً عند نزولهم بالمروج فى «وادى فردس»: «وخطرت ببالى مقطوعة(...)، أثبتها على حكم الاستعجال. وأوصفت على بيوتها خيل الارتجال(...)»(٣).

سادساً: يُتداول فى بنية خطرة الطيف السرد والوصف ويتداخلان فى بنية نسيج الخطاب الرحلى على طول النص، فـ«ابن الخطيب» يسرد من خلال حديثه عن «الفعل فى الزمان» أى الأحداث، ويصف عندما يتحدث عن المكان والأشياء والأشخاص وإن كان الوصف يأتى فى إطار السرد. ومن ذلك قوله: «ونزلنا بظاهر حصن شيرون وقد ترعرع شباب اليوم، وطالبنا غريم الظهيرة بمنكسر فرض النوم، حصن أشم، ومناخ لا ينم، نزلنا الهضبة بإزائه، وغمرنا ببره ما عجزنا عن جزائه، وعثرنا بين المضارب ببعض العقارب، سود الرؤوس، متوجة بأذنابها فى شكل الطاووس(...)»(٤).

---

(١) يراجع: ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥٥.
– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣٧.
(٢) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥٧–٢٥٨.
– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٤١.
(٣) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٦٣.
– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٥٠.
(٤) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥٣.
– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣٤.

سابعاً: تداخل الكثير من الأبيات الشعرية فى نسيج البنية النصية لخطرة الطيف:

فنجد فى بنية «خطرة الطيف» البيت اليتيم والنتفة والمقطوعة والقصيدة لها حضورها فى النص الذى لا يقف عند حد التسع والخمسين بيتاً ونصف بل يتعداهم إلى سيل من الأشعار ترتبط بهذه الأبيات فى الوعى الجماعى، والإطار الثقافى للمخيلة العربية مستدعياً العديد من التجارب والأحداث والشخصيات ليكثف بنية النص ويثريها بكمٍ هائلٍ من الموروثات الشعرية والتجارب الحية مازجاً بين إبداعه وإبداع الشعراء المعاصرين والشعراء الماضيين عبر العصور المختلفة ليضمن لشعره وشعر معاصريه ما يخلدهم فى ذاكرة الوعى الجماعى الذى صاروا جزءاً منه ومن إطاره الثقافى.

فيبدأ التمهيد لرحلته ببيتى الشعر ليعطينا سبباً لتدوينه لرحلته وتلفيظها، ويشعرنا بما كان يعانيه هو والقائلة من عناء البعد، فإذا هو يمهد ويشوق من خلالهما، ويضئ لنا النمط الذى سوف تؤطر فيه فيدخلها فى الرحلة الأدبية الوصفية، التى ينظمها أديب مبدع؛ لتكون تحفة فنية بديعة فيقول سارداً للحوار الذى دار بينهما:

وقائلة صف لى فديتك رحلةٌ عنيت بها ياشقة القلب من بعد
فقلت خذيها من لسان بلاغة كما نظم الياقوتُ والدر فى العقد

ليؤكد أدبية هذا النص الرحلى وقيمته الفنية وليشد انتباه السامع ويشركه معه فى تتبع نص الرحلة.

وليظهر ذاتيته التى تمتد على طول نص، ويثبت شعره وشاعريته، كما أثبت بلاغة نثره من بدايتها من خلال بثه الوجدانى الذى يصور مدى شوقه وتشوقه لهذه القائلة التى منحها قلبه من خلال بيتيه اللذين ساقهما فى سياق سرد لحظة مغادرة غرناطة، ورؤيته بيته وإشارته إليه مودعاً وهو ينشد:

«يوم أزمعت عنك طى البعاد»[1] ومعبراً عن وجده الذى اشتد لفراق دارها من خلال إنشاده لمقطوعته التى تبدأ بقوله[1]:

(١) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٤٩.

ألا عم صباحاً أيها الربع وأسلم ودم في جوار الله غير مذمم

وإذا هو يستحضر الكثير من القصائد التى تبدأ بالوقوف على الديار، والتى تبدأ بهذه البداية الاستهلالية من خلال تضمينه لتلك البنية السائدة عبر العصور، وتوظيفه لها بفنية فى بداية مقطوعته.

وفى سياقه السردى لوصف وقوفهم على «حصن البيول» يتمثل ببيتى «بهاء الدين زهير»[٢] قائلاً: «فحييناه بأيمن طير وتمثلنا عنده بقول زهير[٣]:

وسكنتها حتى إذا هبت الصبا بنعمان لم تهتز فى الأيل أغصان

(...)»[٤].

- مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٢٧.
- ديوان لسان الدين ابن الخطيب/ تحقيق محمد مفتاح ط دار الثقافة للطبع والنشر بالدار البيضاء ط الأولى ١٤٠٩هـ، المجلد الأول ص٣٢٠.

(١) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٤٩.

- مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٢٧.
- ديوان لسان الدين ابن الخطيب/ المجلد الثانى ص٥٥٩.

(٢) هو الشاعر: أبو الفضل زهير بن محمد بن على المهلبى المعروف ببهاء الدين، ينتهى نسبه إلى المهلب ابن أبى صفرة، ولد بـ«وادى نخلة» بالقرب من مكة فى الخامس من ذى الحجة سنة إحدى وثمانين وخمسمائة، ولما شب توجه إلى مصر واتصل بالملك الصالح نجم الدين أبى الفتح أيوب ابن الملك الكامل، وكان بصحبته وأخلص له إلى أن توفى سنة ٦٥٦هـ، وأغلب شعره فى الغزل ويتسم شعره بالرقة والخفة والسهولة، تراجع ترجمته فى:

- وفيات الأعيان/ لابن خلكان، تحقيق إحسان عباس ط دار صادر بيروت جـ٢ ص٣٣٢.
- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة/ ابن تعزى بردى، ط وزارة الثقافة والإرشاد القومى، دار الكتب المصرية، جـ٧ ص٢٦.
- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب/ عبد الحى بن أحمد بن محمد ابن العماد الحنبلى، حققه محمود الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، ط دار ابن كثير دمشق – بيروت، ط الأولى ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، جـ٥ ص٢٧٦.

(٣) ديوان بهاء الدين زهير/ ط دار صادر بيروت لبنان ١٣٨٣هـ -١٩٦٤م، ص٣٣٢.

(٤) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص١٥١.

فيستحضر بتركيبة «إذا هبت الصبا» العديد من القصائد والأبيات التى تداولت هذه البنية.

وكذلك فى أثناء وصفه للريح التى صادفت رحلتهم إلى «قنالش» وجمال طبيعتها وحسن رياضها الذى ذكره بقول القاضى عياض[١]:

انظر إلى الزرع وخاماته يحكى وقد ماس أمام الرياح
كتيبة خضراء مهزومة شقائق النعمان فيها جراح»[٢]

مستحضراً بـ «شقائق النعمان» سيل من الأشعار التى تدور حولها.

وعند سرده لرحلته لـ«بسطة» وقوله فى الجمال الأخاذ لبسيط «بسطة»: «فلا أقسم بهذا البلد وحسن منظره الذى يشفى من الكمد لو نظر الشاعر[٣] إلى نوره المتألق لآثارها بقوله فى وصفه «بلاد جلق»[٤]:

بلاد بها الحصباء درٌ وتربها عبير وأنفاس الرياح شمولُ
تسلسل منها ماؤها وهو مطلق وصح نسيم الروض وهو عليل

– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣٠.

(١) الشفا فى تعريف حقوق المصطفى/ عياض بن موسى بن عياض بن عمرون ط دار الفيحاء بعمان، ط ٢، ١٤٠٧هـ، جـ١ ص٢٣.

(٢) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥٢.

– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣٣.

(٣) الشاعر المراد وصاحب هذين البيتين اللذين وردا من قصيدة طويلة ختمها بالمدح هو ابن عنين الدمشقى شرف الدين محمد بن محيى بن مكارم بن حسن بن عنين الأنصارى الدمشقى، توفى عام ٦٣٠هـ، عن إحدى وثمانين سنة، وهو الصاحب الرئيس الأديب شاعر وقته وكان من فحول الشعراء ولا سيما فى الهجاء.

– يراجع ترجمته فى: سير أعلام النبلاء/ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان بن قايماز (ت. ٧٤٨هـ) تحقيق مجموعة من المحققين تحت إشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط مؤسسة الرسالة ط الثالثة ١٤٠٥هـ –١٩٨٥م، جـ ٢ ص٣٦٣.

– نفح الطيب / جـ٢ ص٤٠٣.

– خزانة الأدب وغاية الأرب/ الشيخ تقى الدين أبى بكر على المعروف بابن حجة الحموى، تحقيق عصام شعيتو، ط دار ومكتبة الهلال – بيروت ط الأولى ١٩٨٧م.

(٤) «بلاد جلق» هى: دمشق الشام.

فإذا هو يستدعى «شعر الروضيات» فى المشرق والمغرب ورصيد شعرائه الحافل.

وقوله ساردا وصول الركب إلى مدينة «عبلة»، تلك المدينة التى كان يطلق عليها «ألبة»، ونطقها العرب عبلة، والتى يحيط بها حتى وادى آش جبال تعرف بالسند، موظفاً ذلك فى قوله ومضمنا سرده لقول النابغة الذبيانى: «يا دار مية بالعلياء فالسند»[١] وهو أول نصف بيت من قصيدته مع تغيير «مية» إلى «عبلة» مستغلاً موقع «عبلة» على جبال السند فى الأندلس فواقع بين المكانين بفنية رائعة.

وإذا هو يجذب إلى نصه العديد من النصوص التى تبدأ بـ «يا دارمية أو يا دار عبلة» والتى تبدأ بنداء الدار من خلال الموروث الشعرى. قائلاً: ولما كاد عمر اليوم ينتصف... شارفنا دار «عبلة» بالعياء فى السند، واستقبلنا «عبلة»[٢].

وهكذا على طول النص فى «خطرة الطيف» تشكل أبيات الشعر أو نتفه أو مقطوعاته أو قصائده محطات لها أهميتها ودلالتها فى البنية السردية لرحلة «خطرة الطيف».

ثامناً: الواقعية

تتسم «خطرة الطيف» بالواقعية، فهى تصور واقع عاشه «ابن الخطيب»، ورحلة قام بها فى فترة زمنية معروفة ومحددة، وأشخاصها أيضاً واقعيون، وأحداثها حقيقة، والأماكن التى ينتقل إليها أماكن لها وجود فعلى، فهى أماكن ومسارات حقيقية من «غرناطة» إلى «وادى فردس»، إلى «وادى آش» فـ «حصن ببول»، فـ «بسطة»، وطريق «قنالش» الذى سلكوه ومرورهم بها، فـ «فحص الأنصار»، فـ «حصن شيرون»،

(١) ديوان النابغة الذبيانى/ اعتنى به وشرحه حمدو طمّاس، ط دار المعرفة – بيروت لبنان، ط ٢ ١٤٢٦هـ –٢٠٠٥م، ص٣٢.

(٢) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٦٢.

– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٤٨.

فـ «وادى المنصورة» ومرورهم بـ «برشانة»، فـ «قتورية»، فـ مدينة «وادى المنصورة»، وعبورهم عبر أرض شبيهة بالصحراء ليصلوا إلى «بيرة» وسلوكهم «طريق «قيشر» ووعورة هذا الطريق الذى انتهى بـ «وادى العبران»، فـ «الحفص الأفيح»، فـ «أشكواذر»، فـ «المرية» فى رحلة الذهاب، وفى رحلة الإياب المرور بـ «مرشانة»، فـ «دار عبلة»، فـ «لورسانة» فـ «فنيانة» مروراً ووصولاً إلى نقطة النهاية التى كانت نقطة الانطلاق غرناطة والمراسم والاحتفالات والأوقات والشخصيات مثل: السلطان أبى الحجاح، والدليل «ابن أبى هلال»، والقاضى الأديب «ابن أبى خالد» كلها شخصيات واقعية، والمناخ والجو مطابق للواقع، والمعالم والمساجد والحصون والقلاع والمواقع معالم ثابتة حقيقة، وبهذه الخصيصة تتميز «خطرة الطيف» بكونها نص رحلى يختلف عن جنس المقامة، ومنها مقامة «معيار الاختيار» وإن كانا موضوعهما واحد، وكذلك عن الرواية لأنهما مبنيان على الخيال.

تاسعاً: دورة الخطاب بالرجوع إلى نقطة الانطلاق

تتميز «خطرة الطيف» بأن الخطاب فيها يبدأ مع انطلاق الموكب السلطانى من موطنه «قصر الحمراء» بـ«غرناطة»، ويعود إلى نقطة الانطلاق ألا وهو «قصر الحمراء» بـ«غرناطة»، فإذا بالنص يدور مع السفر وينتهى من حيث بدأ وهذه السمة من أهم سمات النص الرحلى التى حرص عليها النقاد والمؤصلين لخصائص وسمات الخطاب الرحلى فى عصرنا الحالى(١).

ولعل تلك السمة تخرج العديد من الأجناس الأدبية، وتميز أدب الرحلة عن رسائل المفاضلات مثل: «مفاخرات مالقة وسلا» التى عدها البعض من أدب الرحلة، وفن المقامات، والسيرة الذاتية، والمذكرات الشخصية، والقصة والرواية، وغيرها من

(١) يراجع: فى الخطاب الرحلى/ محمد الحاتمى مجلة فكر ونقد السنة التاسعة العدد (٨٧) مارس ٢٠٠٧م.
- خطاب الرحلة العربى ومكوناته البنوية/ سعيد يقطين ص١٧٠.
- أدبية الرحلة/عبد الرحيم مؤذن،ط دار الثقافة الدار البيضاء ط أولى ١٩٩٦م، ص٢٦-٣٥.

أنواع السرد، كما تخرج العديد من النصوص غير الأدبية مثل التاريخ والجغرافية وعلم الاجتماع من أن تدخل فى مضمارها، مع أنها غالباً ما تكون أحد مكوناتها؛ لأنها لا تتحقق فيها دورة الخطاب الرحلى.

عاشراً: تعدد المضامين وتداخل الخطابات

تشتمل «خطرة الطيف» على معارف متنوعة دينية وتاريخية وجغرافية واثنوجرافية[1] وأدبية... وتدخل فيها خطابات مختلفة الشعر، والحكاية، والوصف، والسرد، والفكاهة، والطرفة والمثل...

ومن ذلك سرد «ابن الخطيب» وحديثه عن وصول الركب إلى مدينة المرية، الذى يتطرق فيه إلى مظاهر الطبيعة والعمران والمدنية، والعادات والتقاليد الاجتماعية التى تحلى بها هذا الثغر، مشيراً إلى تأثر «المرية» و «المملكة الغرناطية» بالنظم الحربية للبلاد المسيحية المجاورة مثل «قشتالة» و«أراجون»، يتضح ذلك من حمل رجال الجيش لقصى الفرنج، كما يشير إلى عظمة أسطولها البحرى، فهى قاعدة للأسطول الحربى، ومركزاً للسفن التجارية القادمة من المشرق وجميع مدن البحر المتوسط.

كما أشار إلى ثراء أهلها وتميزهم فى التجارة والصناعة، وخاصة صناعة المنسوجات الحريرية والديباج الذى تميزوا به، والذى صنعوا منه المظلة الفريدة للسلطان، وأخبية للركب، وفاعلية دور المرأة الأندلسية فى المجتمع الأندلسى، ومشاركتها فيه على المستوى السياسى والاجتماعى ومكانتها.

(١) الأثنوجرافيا: تعنى الدراسة الوصفية لأسلوب الحياة ومجموعة التقاليد، والعادات والقيم والأدوات والفنون المأثورات الشعبية لدى جماعة معينة أو مجتمع معين فى فترة محدودة، يراجع: أدب الرحلات/ حسين محمد فهيم سلسلة عالم المعرفة (١٣٨) إصدار المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب – الكويت يونيو ١٩٨٩م، ص٤٣-٤٤.

ومشيراً إلى دور المؤسسات الاجتماعية فى الاحتفاء بالركب، ومشاركة الجاليات المسيحية المقيمة التى تعمل بالتجارة، والتى تمثل جزء من النسيج المجتمعى فى القيام بدور إيجابى فى مراسم الاستقبال، معبراً عن مدى تقبلهم للآخر.

وتاريخ قلعتها وبهو خيران الذى شيد فى أواخر عهد خلافة قرطبة فى الأندلس، و«قصر ابن صمادح» وتاريخه فى عصر الطوائف، ويوضح موقعها «ونظرت وجهها من البحر فى المرآة الصقيلة» لكونها المساحة الكبيرة منها تقع على ساحل البحر المتوسط.

كما يتطرق إلى مكانتها الاستراتيجية، وأهميتها العسكرية، ودورها فى التصدى لهجمات الفرنج، مذكراً بانتصارها فى التصدى لهجماته، كثغر من أهم ثغور «غرناطة».

كما يوضح المعتقدات الأندلسية التى تدخل فى نطاق الخرافات والأساطير التى ارتبطت بالوجدان العربى منذ العصر الجاهلى ألا وهى التميمة التى تعلق على النحر مع المعتقد الإسلامى (المعوذة) و«التعويذة» المرتبطة بالثقافة الدينية[1]، والأدعية الإسلامية المرتبطة بحفظ الله ورعايته و «حرسها الله» و«عصمها الله» والمتواجدة على طول النص.

ويتداخل السرد مع الوصف مع القصة والخرافة والأسطورة والطُرفة والشعر فى معزوفة بديعة على طول مسار النص الرحلى لـ «خطرة الطيف».

ولعل فى سرده لوصول الركب إلى «قتورية»، ووصفه لقاضيها «ابن أبى خالد»، وسرده لقصته معه، ومداعبته له والمشهد الحوارى الذى دار بينهما، وبين «ابن الخطيب» وأعوان القاضى، وما تضمنه من فكاهة، وأبيات شعر يستحثه فيها على الكرم ، وما أورده فيها من خرافة وأساطير ارتبطت بالمخيلة العربية مثل «غراب البين»

(١) يراجع: ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥٨، ٠٢٦١.
– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٤٧،٤٣.

المرتبط بالنحس والشؤم وذبحه الذى ينهى الشؤم، مع استحضاره لآيات وصيغ قرآنية يصف بها بدقة تصرف أعوانه عند إحضارهم الدجاجة، ومراسم الاحتفال بقدومها وما يحويه من فكاهة[1] ما يدل على تداخل الخطابات من سرد ووصف وشعر وقصة وطرفة ونص قرآنى فى تلاحم وانسجام تام.

حيث يقول: «تتلقى ركابنا الأفواج وتحيينا الهضاب والفجاج إلى قنتورية» حرسها الله فناهيك عن مرحلة قصيرة كأيام الوصال، قريبة البكر من الآصال كان المبيت بإزاء قلعتها السامية الارتفاع، الشهيرة الامتناع، وقد برز أهلها فى العديد والعدة، والاحتفال الذى قدم به العهد على طول المدة، صفوفاً بتلك البقعة خيلا ورجلاً كشطرنج الرقعة لم يتخلف ولد عن والد»[2].

ويردف ذلك بسرد قصته مع قاضيها تلك القصة الفكهة التى تحتوى على الكثير من المداعبة قائلاً: «وركب قاضيها ابن أبى خالد، وقد شهرته النزعة الحجازية، ولبس من حسن الحجى زيه، وأرمى من البياض طيلساناً وصبغ لحيته بالحناء والكتم، ولاث عمامته واختتم، والبداوة تسمه على الخرطوم، وطبع الماء والهواء يقوده قود الجمل المخطوم. فداعبته مداعبة الأديب للأديب وخيرته بين خصلتى الديب.

وقلت: نظمت مقطوعتين إحداهما مدح والأخرى قدح، فإن عمت ديمتك وكرمت شيمتك فللذين أحسنوا الحسنى وإلا فالمثل الأدنى، فقال: أنشدنى لأرى على أى الأمر أثب، وافرق بين ما أجبتنى واجتنب.

فقلت:

(١) يراجع: ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥٥-٢٥٦.
- مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣٦-٣٧.

(٢) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥٤-٢٥٥.
- مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣٦.

قـــالوا وقـــد عَظُمـــت مبـــرة خالـــد ... قـــارى الضـــيوف بطـــارف وتليـــد
مـــاذا تمـــتُّ[1] بـــه فجئـــت بحجـــة ... قطعـــت بكـــل مجـــادلٍ ومجالـــد
أن يفتـــرق نســـباً يؤلـــف بيننـــا ... أدبٌ أقمنـــاه مقـــام الوالـــد»[2]

فيورد «مقطوعته» الشعرية فى سياق القصة التى وردت فى سياق نص الرحلة والتحمت ببنائه وغدت معلم من معالمه، ويتابع «ابن الخطيب« سرد قصته ويكمل قوله متمثلا بأمثال وحكم متتالية «وأما الثانية **فيكفى من البارق شعاعه، وحسبك من شر سماعه، ويسير التنبيه كافى للنبيه.** فقال: لست إلى قراى بذى حاجة وإذا عزمت فأصالحك على دجاجة، فقلت: ضريبة غريبة، ومؤونة قريبة، عجِّل ولا تؤجل، وإن انصرم أمد النهار فأَسْجل فلم يكن إلا كلا ولا»[3]. وبعد أن وضعه «ابن الخطيب» فى المأزق (العقدة) وأوجد القاضى على مضض الحل، واستعجل «ابن الخطيب» إنجازه للوعد، يصور لنا «ابن الخطيب» هذا المشهد المضحك الذى إن دل فهو يدل على روح الفكاهة والدعابة والمرح التى يتسم بها كاتبنا، ويتسم بها النص الرحلى، والمتمثل فى مراسم تقديم الدجاجة فى مشهد مسرحى فكه يسرده من خلال القصة: «وأعوانه من القلعة تنحدر، والبشير منهم بقدومها يبتدر، يزفونها كالعروس فوق الرؤوس، فمن قائل

(١) وردت كلمة (تمت): بتشديد التاء فى الريحانة جـ٢ ص٢٥٥، بينما وردت فى مشاهدات ابن الخطيب تحقيق العبادى/ ص٣٧ (أتمت) بزيادة همزة فى أولها والصحيح الذى يستقيم معه المعنى والوزن (تمتُّ) كما أوردها محقق ريحانة الكتاب؛ لأن المقطوعة من بحر «الكامل» وزيادة همزة يخرجها عن الوزن ويكسره.

(٢) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥٥.
– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣٦ – ٣٧.

(٣) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥٥.
– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣٧.

أمها البجابية[1]، وقائل أخوها الخصى الموجه إلى الحضرة العلية، وأدنوا مربطها من المضرب عند صلاة المغرب، وألحفوا فى السؤال، واشططوا فى طلب النوال، فقلت: يا بنى اللكيعة، ولو جئتم ببازى بماذا كنت أجازى!».

ويسرد لنا تصرفاتهم المصاحبة لانصرافهم ويضمنها لآية القرآن الكريم ويستحضر من خلالها صورة أصحاب القرية التى وردت فى سورة القلم ويستدعيها ليعمق بها حيرتهم وتلاومهم وخيبتهم ويؤكدها فى بنيته السردية القصصية «فانصرفوا وما كادوا يفعلون، وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون حتى إذا سلت المدى، وبلغ من عمرها المدى، قلت يا قوم ظفرتم بقرة العين، وابشروا باقتراب اللقا، فقد ذَبَحْتُ لكم غُراب البين»[2].

ومن خلال هذا النص والقصة الفكهة المترعة بالظرف وخفة روح مؤلفها يعطى لنا «ابن الخطيب» صورة «لمراسم وتقاليد الزواج فى المجتمع الأندلسى» التى هى امتداد لإطار ثقافى عبر عصور التاريخ من الزفة التى يحتفى بها وتحمل فيها العروس بمحملها على الرؤوس، وتنثر عليها الورود والدنانير، وما يتداول فى مثل هذه المناسبات من السؤال على العروس وأخيها وذويها، وما يدور فى المجتمع النسائى والرجالى من أخذ وجذب، وإدنائهم لركب العروس من منزل الزوج ليتم الاحتفاء والاحتفال بقدوم الركب عند قدوم المغرب.

---

(١) وردت فى ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥٥، بجائية نسبة إلى مدينة بجاية بالجزائر تلك المدينة السياحية الشهيرة الآن.

– ووردت فى مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣٧ البجابية ولعله يريد بها «البنجالية» نسبة إلى البنجاب الهنود الذين كان لهم وجودهم فى نسيج المجتمع الأندلسى والذى اشتهر دجاجهم وديكهم الهندى باشتهار ديك شهرزاد. الذين يقطنون فى شمال غرب الهند وجنوب شرق باكستان ويرشح ذلك ويقويه قوله: «أخوها الخصى الموجه إلى الحضرة العلية».

(٢) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥٥.

– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣٧.

ويوقفنا على ما يتسم به معاونى القاضى من الإلحاف فى السؤال وطلب النوال، الذى يظهر كسمة من سمات معاونيه وجشعهم الذى يغلب على تصرفهم ويبدو أن البخل والجشع كان مظهراً من مظاهر أهل هذه المدينة(١).

ويبرز صدى ما تتعرض إليه المدن الأندلسية الشرقية من قحط وانعدام الأمن من أثر سلبى على سلوكيات قاطنيها الذين يلتمس لهم العذر.

ومن السمات والخصائص الخاصة التى تميزها:

أولاً: اتساع المدى:

يتسع المدى(٢) فى «خطرة الطيف» على مستوى الزمان والمكان، فلا يقف عند زمن الرحلة التى استغرقت عشرين يوماً، ولا عند مكانها الذى يتمثل فى المدن والثغور الشرقية من مملكة غرناطة والتى لا تتعدى مسافتها مائتى كيلو متر.

بل يتعدى ذلك **باتساع فضاء النص**(٣)، فلا يقف المكان فى «خطرة الطيف» عند حدود ثغور ومدن شرق غرناطة التى تدور فى فلكها الرحلة بل يتسع ليشمل المغرب ومصر وجلق وبغداد العراق ودمشق الشام وإيران، حيث شعب بوان والجزيرة العربية والبيت الحرام من خلال استدعاء هذه الأماكن عبر نصه الرحلى.

ولا يقف زمان النص عند العشرين يوماً التى استغرقتهم الرحلة عام (٧٤٤هـ) بل تجاوز ذلك ليشمل العصر الجاهلى الذى استدعاه من خلال فنية السرد الاستذكارى

---

(١) يراجع: معيار الاختيار/ ص١٠٥-١٠٦. حديثه عن «قنتورية»، وأهلها بقوله: «يجود بها الجبن والعسل، ومن دونها الأسل، أما الخبز فلا تسل، وإن كانت أحسن شكلاً فأقل شرباً وأكلاً، وأجفأ أهلاً، وأشد جهلاً، وأعدم علاً ونهلاً، وأهلها شرار، أضلعهم بالظماء حرار».

(٢) المدى: هو إحضار الزمان والمكان مع الحدث، وهو ظاهرة فنية.

يراجع: بحوث فى الرواية الجديدة، ميشال بوتور، ترجمة فريد أنطونيوس، ط دار عويدات – بيروت لنبان ١٩٦٧م، ص٧٨.

(٣) فضاء النص: هو مجموع الأمكنة الحقيقة والذهنية.

- يراجع: بناء الرواية/ سيد قاسم، ط دار التنوير – بيروت ١٩٨٥م، ص٧٥.
- بنية النص السردى من منظور النقد الأدبى/ حميد الحمدانى، ط المركز الثقافى العربى، الدار البيضاء، بيروت ط ٣ ستة ٢٠٠٠م، ص٦٤.

محققاً جدلية الزمن[١]، ومن ذلك سرده الاستذكارى لقول المتنبى «أين الذى الهرمان من بنيانه» مستحضراً العصر الفرعونى ولمطلع قصيدة النابغة يا دار مية بالعلياء فالسند مستحضراً العصر الجاهلى، واستحضاره للعصر الإسلامى من خلال ذكره للصحابى «سعد بن عبادة» المرتبط ذكره بالثقيفة واجتماعها الذى بويع فيه الخليفة «أبو بكر الصديق» ﷺ بعد وفاة رسول الله ﷺ.

ومستحضراً الفتح الإسلامى للأندلس عام (٩٢هـ) والذى كان أحد أبطاله والعصر العباسى الأول باستدعائه «أبى نواس» ومذهبه الفنى، والعصر العباسى الثانى باستدعائه «للمتنبى» وبشعره فى مصر، و«شيراز» عند عضد الدولة ووصفه شعب بوان، وعن عصر خلافة قرطبة وعصر الدولة الفاطمية فى القيروان من خلال تذكره لأبيات «ابن هانئ» الأندلسى فى قصيدته التى مدح بها الخليفة الفاطمى «المعز لدين الله»، واستحضرها عندما رأى «ابن الخطيب» الخيمة العظيمة من الديباج المزخرف التى استظل بها سلطانه والتى ذكّرته بالبيتين، والعصر المملوكى من خلال استحضاره لبيتى «ابن عنين» الذى لم يذكر اسمه، والأيوبى بذكره لزهير «بهاء الدين زهير» وشعره، وعصر ملوك الطوائف بالأندلس بذكره لبيتى «حمدة بنت المؤدب» ومجالسها ونواديها فى «وادى آش»، وبيتى ابن اللبانة الأندلسى، والعصر الغرناطى باستدعاء لأبيات أستاذه «ابن شبرين» فى «غرناطة»، ولشعره الذى يمثل هذا العصر الذى استحضره فى نص الرحلة.

وهكذا ارتبط الزمان بالفضاء[٢] واتسع كل منهما فاتسع مدى النص فى «خطرة الطيف».

ثانياً: حيوية العقدة وتماسك الحبكة الفنية

---

(١) يراجع: جدلية الزمن/ غاستو بناشلار، ترجمة خليل أحمد خليل، ط المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٩٨٢م، ص٤٧.

(٢) يراجع: الزمان والمكان فى الرواية/ عبد الرحيم مؤذن، منتدى معمرى للعلوم ٢ ديسمبر ٢٠١٢م.

استطاع «ابن الخطيب» أن يكسب العقدة والصراع الذى يتمثل فى: الصعاب والعراقيل والشدائد التى اكتنفت الرحلة وتخللتها، حيوية وحياة وإثارة، من خلال براعة وقدرة تصويرية فائقة، ولغة تعبيرية متجددة نشعر بها فى قوله مصوراً لما قابل الركب من عواصف وأنواء فى «بسطة».

«إلا أن الرياح لا عبتنا ملاعبة الصراع، وكدرت القرى بالقراع، فلقينا من الريح ما يلقاه قلب المتيم من التبريح، وكلما شكت إليها المضارب شكوى الجريح، تركتها بين المائل والطريح.

ولما توسط الواقع، والتقمت أنجم العرب المواقع، صدقتنا الريح الكرة، وجادتنا الغمائم كل عين ثرة، حتى جُهلت الأوقات، واستراب الثقات، فتستر الفجر بنقابه، وانحجز السرحان فى غابه»(١).

وقوله مصوراً ما لاقاه الركب من صعاب من أنواء وتراكم الغيوم، وهطول سيول الأمطار فى العراء بعد مغادرتهم لوادى المنصورة: «واستقبلنا أرضاً شبيهة بالصحراء ملاعب للريح، ومنابت للسدر والشيح، سحبت بها عين السحاب فضول الذيل، وطفف الغمام فى الكيل، وغار النور، وفار التنور، وفاضت السماء، والتقى الماء، فالركائب تسبح سبح الأساطيل، والأرجل تزهق زهوق الأباطيل، والمبارك تعرى، والأدلة لا تهتدى، واللباس قد غير الطين من شكله، والإنسان قد رجع من الماء والحمأ إلى أصله»(٢).

(١) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥٢، وورد فى الريحانة: «أنجم العُرب» بينما وردت فى المشاهدات «أنجم الغرب» بالغين.
– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣٢-٣٣.
(٢) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥٦-٢٥٧.
– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣٩.

وقوله فى ما عانه الركب فى رحلتهم من تشعب مسالك «بيرة» ووعورة تضاريسها وخطورة اجتيازها على الرغم من اصطحابهم لدليل ذو احتيال: «استقبل بنا شعبا مقفلاً، ومسلكاً مغفلاً، وسلماً من الدرج سامى المنعرج، تُزلق الذر فى حافاته، وتراع القلوب لآفاته، ويتمثل الصراط عند صفاته، أوعارٌ لا يتخلص منها الأوعال، ولا تغنى السنابك فيها ولا النعال، قطعنا بياض اليوم فى تسنم جبالها، والتخبط فى حبالها، نهوى من شاهق إلى وهد، ونخوض كل مشقة وجهد، كأننا فى حلم محموم أو أفكار مغموم»(١).

وتتوالى الصعاب والعقد على طول الرحلة فإذا بالركب ينتقل من عقدة إلى عقدة تالية وهى نزولهم «بوادى العبران» الذى هو «معدن لكل عقرب تدب وحية تسعى»(٢).

ومروره «بفحص الأفيح» بحيواناته المفترسة التى استبقوها بالطرد فى قوله: «طاردنا قنصه على طول صحبته؛ للأمان من حوادث الزمان»(٣).

وهكذا تتوالى العقد ويضئ الحل فى النص من خلال مراحل الرحلة ومحطاتها المتتابعة ذهاباً وإياباً فى تسلسل، وترتيب يتماشى مع خط سير الرحلة التفقدية للركب السلطانى(٤)، وبذلك استطاع «ابن الخطيب» من خلال الحبكة الفنية أن يقترب بنصه الرحلى من فنيات القصة.

---

(١) ريحانة الكتاب جـ٢ ص٢٥٧، وردت التخبط فى جبالها والصواب (حبالها)، كما وردت فى مشاهدات لسان الدين.
– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٤٠-٤١.

(٢) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥٨، هذا النص محذوف كما سبق وأن أثبتناه فى عرض الرحلة.
– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٤١.

(٣) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥٨.
مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٤٢.

(٤) يراجع: المبحث الثانى بناء النص الرحلى، وموقع السارد منه.

ثالثاً: ارتباط التبئير[*] للرحلة بهدف ابن الخطيب الحياتى وبغرض الرحلة الجهادى، ألا وهو التصدى للعدو: فالتصدى للعدو يسيطر على مستويات عديدة من البنية الرحلية لـ «خطرة الطيف» ويظهر بصور متعددة منها: **إظهار آثار عدوانه على المستوى العمرانى والحضارى والإنسانى والحياتى للبلاد المنكوبة، بيان جمال البلدان والوديان والحصون الصامدة لحثها على التمسك بأرضها والتصدى لعدوها والاعتبار بما حدث لأخواتها**، فمن ذلك قوله: «وكانت البلاد الشرقية قد أخلفتها الغيوث وعدت عليها للعدو الليوث»[١].

ومن ذلك قوله فى مدينة «وادى المنصورة»: «ومررنا بوادى المنصورة التى نسب الوادى إليها، وأطلالها بالية، وبيوتها خالية، ومسجدها بادى الاستكانة خاضع للبلى على سمو المكانة، فعبرنا واعتبرنا، وأبصرنا فاستبصرنا قول أبى الطيب قد تذكرنا:

أين الذى الهرمان من بنيانه ... ما قومه ما يومه ما المصرع
تتخلف الآثار عن أصحابها ... حيناً ويدركها الفناء فتتبع»[٢]

والحث على المرابطة فى الثغور والإشادة بالمرابطين وإعلاء راية الجهاد والحفاظ على الحياة فى ظل وطن يتعرض لتقطيع أوصاله وانتهاب ما تبقى منه.

ومن ذلك قوله فى «بيرة»: «وخيمنا فى بيرة حرسها الله بالثغر الأقصى ومحل الرباط الذى أجر ساكنه لا يحصى، بلدة عدوها متعقب، وساكنها خائف مترقب»[٣].

ومن خلال الإشادة بصمود العديد من الحصون والمدن وتصديها للعدو.

(*) تعنى الدراسة بالتبئير/ إلحاح فكرة أو شعور أو وجهة نظر أو قضية أو رؤية خاصة بالكاتب تظهر ومضاتها على طول النص.

(١) مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣٧.

(٢) المصدر السابق/ص٣٩.

(٣) مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ص٤٠.

ومن ذلك قوله فى حصن «البيول»: «تكفل الرفاق بمأمنها، وفضح سرية العدو فى مكمنها من أبيض كالغارة ضمن الفوز فى تلك المفازة»(١).

وقوله فى «المرية»: «أشرقت العدو بريقه، وسطت بفريقه، وأخذت عليه فيها يد الله ثنايا طريقه»(٢).

وقوله فى «غرناطة»: «مصرع الطواغيت والكفار، والغمد الذى استودع بسيوف الله دامية الشفار»(٣).

والدعاء للمدن عند ذكر كل مدينة: «حرسها الله»(٤)، و«عصمها الله»(٥)، الذى يظهر الخطر الذى يكتنفها ويتخوف منه.

ومثل الدعاء للسلطان بـ «أيده الله» وأن يهبه «نصراً يتلى بغرب المعمورة وشرقه»(٦)، خاصة وهم فى وضع تصدى وجهاد.

فلا تكاد تخلو ذكر مدينة من هذه الإضاءات خاصة وأن التصدى للعدو كان هدف «ابن الخطيب» وهكذا ارتبط التبئير بغرض الرحلة الجهادى وبهدف ابن الخطيب الحياتى.

رابعاً: انتشار النزعة الإسلامية وتغلغلها داخل ثنايا النص

تنتشر النزعة الإسلامية فى جميع ثنايا رحلة «خطرة الطيف» فى جميع مراحلها وهو ما يتسق مع نوع الرحلة والغرض منها والظروف المحيطة بها، فالرحلة

(١) المصدر السابق/ ص٣١.
(٢) المصدر السابق/ ص٤٦.
(٣) المصدر السابق/ ص٥٢.
(٤) المصدر السابق/ص٢٧، ٢٨، ٣١، ٣٣، ٣٦، ٤٠، ٤٣، ٥١.
(٥) المصدر السابق/٤٣.
(٦) المصدر السابق/٢٥.

رحلة تكليفية تفقدية لركب جهادى، وجهت والصراع بين المسلمين والعدو الصليبى قد حمى وطيسه، وانكب على المدن الإسلامية ينتهبها، ويقطع أوصالها.

ولذا كثر على مدار الرحلة الاقتباس(١) من القرآن الكريم والاختلاس بتضمين معانيه داخل النص فكان من أبرز النصوص التى كان لها حضورها القوى فى بنيته التركيبية، والتى نجح الكاتب فى أن يستدعيها ليثير الحمية الإسلامية ويكسب نصه القدسية والخلود والثراء الدلالى المتنوع وجماليات التعبير فإذا هو يجمع بين بلاغة السرد والتناص، وحسن التعليل والإيجاز، ومن ذلك قوله فى بداية رحلته مركزاً على الجانب الجهادى وحاثاً عليه بطريقة غير مباشرة: «ونثق بوعد الله سبحانه بقوله «ولا يقطعون وادياً (٢)»(٣).

وقوله موضحاً ومؤكداً ومصوراً الحشد الهائل الذى احتشد لاستقبال السلطان من أهالى وادى «آش»: «واستقبلنا البلدة، حرسها الله، فى تبريز (...) وجمالها نادى بأهل المدينة موعدكم يوم الزينة(٤)»(١).

---

(١) يراجع: انفتاح النص إلى النص المترابط/ سعيد يقطين، ط المركز الثقافى العربى، ط أولى ٢٠٠٥م، ط ٢٠٠١/ص ٩٨.
- علم النص/ جوليا كريستيفا، ترجمة فريد الزاهى، ط دار توبقال بالمغرب ط الأولى ١٩٩٢م.
- دينامية النص تنظير وانجاز/ محمد مفتاح، ط المركز الثقافى العربى بالرباط ط ٢، ١٩٩٠م، ص٨٩.
- تحليل الخطاب الشعرى: استراتيجية التناص/ محمد مفتاح، ط المركز الثقافى العربى بالرباط، ط الثالثة، ١٩٩٢م، ص١٢١.
- التناص عند شعراء الصنعة/ ياسر عبد الحسيب رضوان ط مكتبة الآداب بالقاهرة، ط الأولى ١٤١٣هـ -٢٠١٠م، ص٨٠.

(٢) الآية رقم (١٢١) من سورة التوبة ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

(٣) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٤٨، مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٢٧.

(٤) الآية رقم (٥٩) من سورة طه ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾.

وقوله عند وصف جمال وحسن طبيعة «بسطة» الذى أسره حسنها: «فلا أقسم بهذا البلد[٢]، وحسن منظره(...)»[٣].

وقوله مصوراً طول الطريق ومشاقته من «فحص الأنصار» إلى «حصن شيرون» عبر الصحراء والفلاة: «وأهلة السنابك صيرها السير كالعرجون القديم[٤]»[٥].

وقوله عند وصفه اصطفاف النساء على جانبى وادى «المنصور» مظهراً شدة إعجابه بحسنهن ومؤكداً ومتحدياً فى وجود من يماثلهن: «هذا خلق الله، فأرونى ماذا خلق الذين من دونه [٦]»[٧].

وقوله فى تصوير جمال طبيعة «وادى المنصورة» ودنو ثمار أشجاره وكثرتها: «يا لها من آرائك مهدلة السجوف وجنات دانية قطوفها[٨]»[٩].

وقوله فى وصف قاضى قنتورية «والبداوة تسمه على الخرطوم[١]»[٢].

---

(١) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥٠.
– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٢٨.

(٢) الآية رقم (١) من سورة البلد.

(٣) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥٢.
– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣٢

(٤) الآية رقم (٣٩) من سورة يس ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾.

(٥) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥٣.
مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣٣.

(٦) الآية رقم (١١) من سورة لقمان: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾.

(٧) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥٤.
مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣٥.

(٨) الآية (٢٢، ٢٣)، من سورة الحاقة: ﴿ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾.

(٩) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥٣.
مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣٥.

وفى تصوير سلوكيات عماله وجشعهم وعدم رضاهم الذى سبب نهرهم وحرمانهم بقوله: «وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون[٣]»[٤].

وقوله فى المطر الذى عم «قنتورية» بعد القحط «وفيه مآرب أخرى[٥]»[٦].

وقوله فى وصف المطر الغزير الذى حاصرهم فى أرض قاحلة شبيهة بالصحراء بعد مغادرتهم لمدينة «وادى المنصورة» فى اتجاه «بيرة» وغار النور وفار التنور[٧]»[٨].

وفى وصف وقوف هذه السيول عند وقوفهم بـ «بيرة»: «فقيل للنفوس شأنك وذماك[٩]، ويا أرض ابلعى ماءك[١٠]»[١].

---

(١) الآية رقم (١٦) من سورة القلم.
(٢) ريحانة الكتاب/ جـ٢ص٢٥٥.
– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣٧
(٣) الآية رقم (٣٠) من سورة القلم.
(٤) ريحانة الكتاب/ جـ٢ص٢٥٥.
مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣٧.
(٥) الآية رقم (١٨) من سورة طه: ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴾.
(٦) ريحانة الكتاب/ جـ٢ص٢٥٦.
– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣٨.
(٧) الآية (٤٠) من سورة هود ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾.
(٨) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥٧.
– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣٩.
(٩) ذماك أو دماك: كلمة تركية معناها سقف الحلق أو سقف الفم، أو الغرور والكبرياء، يراجع: قاموس المعانى، قاموس عربى تركى.
www. Almaany.com< dict > ar-tr>damak.
ووردت فى مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٤٠، ودمائك والمعنى: يرجح ما ورد فى ريحانة الكتاب وفقاً لما ورد فى ديوان المعانى.

فيقول فى «فنيانة»: «بقعة حظها من النعم موفور، وبلدة طيبة ورب غفور[٢]»[٣].

وهكذا تتوالى الاقتباسات حتى نصل إلى أخر الرحلة التى يختمها بقوله: «وقلنا ادخلوها بسلام آمنين[٤]»[٥].

وكذلك تظهر النزعة الإسلامية على طول الرحلة من خلال كثرة الدعاء بصيغ إسلامية لا تكاد تخلو من ذكرها مدينة وحصن نزل به الركب حتى نهايتها مثل: «حرسها الله»[٦]، «عصمها الله»[٧]، وإضفاء هالة دينية على السلطان وربطه دوماً بالإسلام كرمز من رموزه والإطالة فى الدعاء له[٨]، نظراً لطبيعة الرحلة التكليفية الجهادية.

---

(١٠) الآية رقم (٤٤) من سورة هود ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

(١) ريحانة الكتاب/ جـ٢ص ٢٥٧، وورد فيها: «ابلعى مائك» والصواب نحوياً ابلعى ماءك... كما وردت فى مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب نحويا وإملائياً.
– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٤٠.

(٢) الآية رقم (١٥) من سورة سبأ.

(٣) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٦٢.
– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٤٩.

(٤) الآية (٤٦) من سورة الحجر ﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾.

(٥) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٦٤.
– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٥٣.

(٦) مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب (ومن له بـ« الحضرة» حرسها الله، ص٢٧، واستقبلنا البلدة «وادى آش» حرسها الله ص٢٨، وبسطة حرسها الله ص٣١ إلى قنتورية حرسها الله ص٣٣، «وطالعنا برشانة حرسها الله ص٣٦ وخيمنا فى بيرة حرسها الله ص٤٠، واستقبلنا «وادى آش» حرسها الله ص٤٣، واستقبلنا الحضرة حرسها الله ص٥١.

(٧) المصدر السابق/ (واستقبلنا المرية عصمها الله) ص٤٣.

(٨) المصدر السابق/ ص ٢٥، ٢٦، ٥٠.

فيبدأ نص رحلته بالتحميدات والشكر والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، وبطلب أن يهب الله المقام المولوى اليوسفى النصرى سعداً يتلألأ نور أفقه ونصراً[١] على نسق الرسائل الديوانية مما جعل العديد يصنفها كرسالة.

ويستخدم صيغاً دعائية مثل: «أيده الله»[٢] التى تسيطر على النص ويستخدم دوماً لفظ «المولى» والمولوى[٣]، وهى كلمة لها حضورها فى الكتابات المغربية والأندلسية خاصة، وجعلِه الأشياخ الجُلة والفقهاء الذين هم سراج الملة[٤] يتقدمون الموكب، والقدوة للجند قائلاً: وقد أحسنوا بالمشيخة الاقتداء»[٥].

ويستدعى صيغة الآذان فى نصه ومنادى الصلاة قائلاً: «ولما فاض نهر الصباح ونادى منادى الصلاة حى على الفلاح»[٦].

وصيغ السلام «ومثل أهلها فسلموا»[٧]، و«رفعوا بالسلام النداء»[٨]، وترديده «اللهم غفراً»[٩] هذا الدعاء الذى تردد على الألسن بين أهل المدن الأندلسية.

وترديده للفظ الجهاد، واستحضاره لشعائر زيارة بيت الله الحرام من: إحرام، ومقامة بالبيت العتيق، وزمزم[١٠]، وسلام وطواف، واستلام للحجر، والجهر بالتلبية[١١]،

(١) المصدر السابق/ ص٢٥.
(٢) المصدر السابق/ ص٤٤، ٤٥، ٤٦.
(٣) المصدر السابق/ ٢٥، ٢٦، ٤٤، ٤٦.
(٤) المصدر السابق/ ص٤٣.
(٥) المصدر السابق/ ص٤٣.
(٦) مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣٠.
(٧) المصدر السابق/ ص٣٣.
(٨) المصدر السابق/ ص٤٣.
(٩) المصدر السابق/ ص٤٨.
(١٠) المصدر السابق/ ص٢٧.
(١١) المصدر السابق/ ص٤٤.

وأيام التشريق[١]، والتحصن بالله والاعتصام به، وشكر نعمه والاستناد إلى تيسيره بصورة مكثفة، ومن ذلك قوله: «وبتنا بإزائها ونعم الله كافلة، ونفوسنا فى حلل السرور رافلة، حتى إذا أظل الليل تقلص، سرنا وعناية الله منافية، ونعمه وافية»[٢]، وهو ما يتلاءم مع الرحلة التكليفية للركب الجهادى الذى يقوده السلطان.

والتأكيد على القيم الإسلامية **وخاصة الشورى** التى أبرزها «ابن الخطيب» بصورة عملية من خلال تشاور الركب لاختيار الطريق الذى يسلكوه من «بيرة» التى تتشعب مسالكها ويكتنفها الخطر بقوله: «وكثر المستشار ووقع على طريق قيشر الاختيار»[٣].

والعدل الذى يتعدى المسلمين إلى غيرهم من الشعوب، والتعايش معهم على كافة المستويات ومشاركتهم فى الاحتفالات مؤكداً على التقبل للآخر ما لم يعلن عداوته وحربه، يظهر ذلك من خلال قوله عن مشاركة تجار الروم فى الاحتفال باستقبال الركب السلطانى فى المرية «وتأنق من تجار الروم من استخلص العدل هواه، وتساوى سره ونجواه، فى طرق من البر ابتدعوها، وأبواب من الاحتفاء شرعوها(...)»[٤].

وعدم الخلط بين رعايا الدولة الإسلامية ومن يحاربونها ويطلق عليهم الأعداء الذين يقف منهم موقفاً معادياً.

خامساً: يغلب عليها التفاؤل والمرح على الرغم من كونها رحلة تكليفية ورسمية فقد طبع «ابن الخطيب» رحلة «خطرة الطيف» بطابع التفاؤل والمرح[٥] حتى فى أحلك المواقف[١].

---

(١) المصدر السابق/ ص٣١.

(٢) المصدر السابق/ ص٥٠.

(٣) المصدر السابق/ ص٤٠.

(٤) مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٤٤.

(٥) وفى ذلك قصته المرحة مع القاضى «ابن أبى خالد» قاضى «قنتورية».

ولعل المرحلة التى صاغ فيها «خطرة الطيف» كان لها تأثيرها فهو فى مقتبل العمر، أُعطى الكثير من المكانة والشهرة والثروة والحب والاهتمام، فأحب الحياة، وأحبته ولم تكن بعد قد أعطته وجهها القاتم بعكس رحلته فى النفاضة.

فانطلق يتغنى بجمال الطبيعة فى رحاب رحلته إلى ثغور ومدن وأودية وجبال وهضاب شرق غرناطة ويمتزج معها ويمزج فيها مشاعره.

سادساً: تتسم بتواجد المرأة وصورتها بشكل ملحوظ على طول مسيرة الرحلة فتظهر صورة المرأة القابعة فى وجدانه دوماً **من خلال تركيز زوايا التقاطه عليها فى الاحتفالات بالركب السلطانى فى العديد من المدن** ومن ذلك قوله فى احتفال استقبال «بسطة»: « فى حفل سلب النهاء، وجمع البدر والسها، والضراغم والمها(...)، ومد بالمحاجر كؤوس البراقع»[٢]، **وفى الأودية التى قطعوها** ومن ذلك قوله فى وادى المنصورة: « والنساء إلى مشاهدة التبريز قد حفت، وبشاطئ الوادى قد صفت، قد أبرزن الثنايا، وسددن سهام المنايا، عن حواجب كالحنايا يشغلن الفتى عن شؤونه

- ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥٥.
- مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣٦، ٣٧.

(١) ومن ذلك رد فعله فى تواجد العقارب السود السامة فى «حصن شيرون» عند مبيتهم به فقد ربطه بالجانب المضىء (نجم العقرب) ولم يتبرم منها أو يعلن شكواه بل حاول أن يحول المحنة إلى منحة «فقلنا العقرب من منازل البدر».
- مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣٤.
- ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥٣.
- ودعابته مع «ابن أبى هلال» فى أحلك المواقف واشتداد التعب.
- ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥٧، ٢٥٨.
- مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/، ص٤١

(٢) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥١- ٢٥٢.
- مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٤٢.

ويسلبن الروض لين غصونه»[١] **وفى تصويره للمدن والطبيعة** ومن ذلك قوله فى «بسطة»: « يا لها من عقيلة، صفحتها صقيلة، وخريدة، محاسنها فريدة، وعشيقة نزعاتها رشيقة، لبست حلى الديباج الموشى مفضضة بلجين الضحى، مذهبة بنضار العشا، وسفرت عن المنظر البهى، وتبسمت عن الشنب الشهى»[٢].

وصورة المرأة دوماً صورة مبهجة مرحة، مما يظهر ما تحظى به المرأة من مكانة لدى «ابن الخطيب»، ولدى المجتمع الأندلسى فى عصره، ولعل وصفه لتوافد النساء فى الاحتفال بالركب السلطانى فى «المرية» واهتمام السلطان بهن، وما ولاهن من اهتمام ما يظهر تلك المكانة حيث يقول: «وتزاحم من النساء الأفواج، كما تتدافع الأمواج، فرفع الجناح، وخفض الجناح، ومهد لهن سبيل العطف، وشملهن كنف الإشفاق واللطف»[٣].

فصورة المرأة تحضر حضوراً واضحاً من بداية الرحلة من قوله: «وقائلة صف لى فديتك رحلة...» والتى كانت السبب فى تلفيظه وكتابته للرحلة حتى نهايتها بقوله مصوراً فى آخر لقطة من إلقائه لعصا الترحال بـ «غرناطة» مصوراً جوها المشرق رابطاً بينه وبين صورة المرأة التى لم تفارق ذهنه على طول مسيرة الرحلة «وصلناها والجو مصقول كالفرند، والسماء كأنها لصفائها مرآة الهند، فى بروز أخرج الحلى من الأحقاف، وعقد أزرار الحلل على الأعناق»[٤].

---

(١) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥٤.
– مشاهدات لسان الدين البن الخطيب/ ص٣٥.
(٢) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥١.
– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣١-٣٢.
(٣) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٦٠.
– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٤٤.
(٤) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٦٤.
– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٥٣.

وعندما يصور مكانتها فهى «أم البلاد»[١] و «سيدة الأمصار»[٢] وهى «العقيلة».

فالمرأة معادل موضوعى فى رحلة «خطرة الطيف» للوطن، والإقبال على الحياة فهى تمتزج به وبجمال طبيعته، واحتفلاته ومباهجه، ويمتزج بها. بعكس «النفاضة» التى لا نكاد نعثر فيها على صورة للمرأة إلا من خلال سرده لوفاة زوجته أثناء هذه الرحلة، وذكره لما أنشده فى رثائها من أشعار تتفجر من خلالها وتنهدر مشاعر الأسى والحزن لاختلاف ظروف رحلة «النفاضة» التى صاغها وهو لاجئ فى بلاد المغرب، بعد أن أعطى الدهر له ظهره، فى مرحلة كهولته، التى غلب عليها الزهد فى مباهج الحياة.

سابعاً: انتشار دالة البعد والرحيل والوداع والشوق والحنين، والوجد والشجن والتذكر، والبُعد عن ألفاظ الغربة والاغتراب فلا نجد فى «خطرة الطيف» الشعور بالغربة أو الاغتراب الذى نجده فى «نفاضة الجراب» بل يسيطر على دالات الرحلة البعاد والشوق والحنين، الذى يطل من خلال النص من بدايته، فـ«ابن الخطيب» لم يغادر وطنه، ورحلته رحلة وإن كانت خارج مدينته الغرناطية إلا أنها فى ربوع المملكة، وهى رحلة بصحبة السلطان والركب السلطانى، الذى التحق به منذ أكثر من أربع سنوات، ومع مليكه الذى ظل فى كنفه ثمانى سنوات منذ التحق بديوانه، ويقابل بحفاوة على الدوام، وهو فى تصالح مع نفسه ووضعه ومجتمعه، ولا يشجيه إلا البعاد عن الأهل والأحباب، ولذلك لم يتردد لفظ الغربة أو الاغتراب فى النص بل لا نبالغ إذا قلنا أنه لم يتواجد فى «خطرة الطيف».

---

(١) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٦٣
– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٥٢.
(٢) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٦٤.
– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٢٦٤.

ومن ذلك قوله فى التمهيد للرحلة:

«وقائلــة صــف لــى فــديتك رحلــة عنيت بها يا شقة القلب من بُعد»[١]

وقولـه عنـد مغادرتـه لـ «غرناطـة» وبـدء رحلتـه قـائلاً: وسـلكنا جـادة المـاء المفروش...، ومن لـه بالحضـرة، حرسـها الله، شـوق حثيث، وهـو قـديم وحـديث، يكثـر الالتفات **ويتذكر** لما فات ويبوح **بشجنه** وينشد مشيراً إلى سكنه:

ويــوم أزمعــت عنــك طــى البعــاد وعــدتنى عــن الــوداع العــوادى
قــال صــحبى وقــد أطلــت التفــاتى أى شــىء تركــت قلــت فــؤادى

وربما غلبته لواعج أشواقه، وشبت زفراته عن أطواقه»[٢].

وقوله: «وحيينا دار حمدة بالسلام...»

وتناشدنا قولها فى واديها:

أبــاح الشــوق أســرارى بــوادى لــه فــى الحســن أســرارٌ بــوادى»[٣]

وقوله عند بدء رحلة الإياب والعودة: «وثنينا الأعنة إلى الإياب، وصرفنا إلى أوطننا صدور الركاب، فكم من قلب لرحيلنا وجب، لما استقل ووجب، ودمع **لوداعنا** عظم انسكابه، لما رمت للبين ركابه، وصبر أصبح من قبيل المحال عند زم الرحال، وإلف أنشد بلسان النطق والحال[٤]:

---

(١) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٤٨.
– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٢٥.

(٢) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٤٨-٢٤٩.
– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٢٧.

(٣) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٤٩.
– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٢٨.

(٤) البيتان لـ«كشاجم» الشاعر العباسى محمود بن الحسين، (ت. ٣٦٠هـ) قيل: فارسى الأصل وقيل: هندى رقيق الشعر متنوع الأغراض، وقد برز فى وصف الطبيعة.

ومضـى وخلـف فـى فـؤادى لوعـة تركتـــه موقوفـــاً علـــى أوجاعـــه
لـــم اســـتتم ســـلامه لقدومـــه حتـــى ابتـدأت عناقـه لوداعـه»[1]

وقوله فى سياق وصفه لشدة ما عانوه فى الطريق من «مرشانة» إلى «عبلة»:

«ونسينا بمعاناته ألم البعاد»[2].

وقوله وقد بات الركب فى «فردس» استعداداً لدخول «غرناطة»: «وبتنا نتعلق بأنفاس الحضرة العاطرة...، ونحنُّ إلى الأهل حنين العشار[3]:

ويسبق البيتين ببيت يقول فيه:

بـــأبى وأمـــى زائـــرٌ متقنـــع لـم يخـف ضـوء الشـمس تحـت قناعـه

- ديوان كشاجم/ تحقيق ودراسة النبوى شعلان، ص٢٦٧.
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء/ أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، (ت. ٥٠٢هـ) ط دار الأرقم بن أبى الأرقم – بيروت، ط أولى ١٤٢٠هـ جـ٢ ص٤٠.

(١) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٦١.
- مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٤٦-٤٧.

(٢) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٦٢.
- مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٤٨.

(٣) البيت لإسحاق بن إبراهيم الموصلى، المغنى والأديب العباسى، الذى طارت شهرته فى الآفاق واتصل بالخليفة «المعتصم» والواثق، وكان نديما لهما وأجزلا له العطاء.
- والبيت أنشده مع بيت آخر قبله وهو عائد من رحلة مع الخليفة «الواثق» وقد اشتاق لأهله قائلاً:

حننـــت إلـــى أصـــيبية صـــغار وشـــاقك مـــنهم قـــرب المـــزار

- خزانة الأدب ونهاية الأرب/ ابن حجة الحموى «تقى الدين أبو بكر على بن عبد الله الحموى»، (ت. ٨٣٧هـ)، شرح عصام شقيو ط دار الهلال بيروت ط الأولى ١٩٨٧م، جـ١ ص٥٨.
- الأمالى/ أبو على القالى، جـ١ ص٥٥.

وأبــرح مــا يكــون الشــوق يومــاً إذا دنــت الــديار مــن الــديار»[١]

مما أكسب رحلته طابعاً وجدانياً مشوقاً.

ثامناً: تداخل أسلوب الرسائل الديوانية والمقامة الأدبية فى أسلوب «خطرة الطيف»

يظهر تداخل أسلوب الرسائل الديوانية فى التحميدات والتبريكات والتشريفات والإكثار من الأدعية للسلطان ولعل مقدمة هذه الرحلة[٢]، أبلغ دليل، كذلك وصفه لاستقبال أهل «المرية» للسلطان الذى أضفى عليه هالة من القداسة[٣]، وإن كانت تعبر عن حقيقة تهافت أهل الأندلس على سلطانه.

ويبدو أن تلك التحميدات والتشريفات والتبريكات كانت سمة من سمات الكتابة الديوانية وانتقلت إلى الرحلات التكليفية.

وتداخل أسلوب المقامة من حيث بناء الهيكل الأسلوبى فقط ألا وهو الاعتماد على المحسنات البديعية وخاصة السجع والجناس اللذين استعملهما بحرفية عالية، ولم يعيقا سرده بل أكسباه جمالاً فنياً، والذى بذَّ فيهما «ابن الخطيب» كتاب عصره فاعترف معاصره ابن خلدون بهذا التميز قائلاً: «فأجبته عن هذه المخاطبات، وتفاديت من السجع خشية القصور عن مساجلته، فلم يكن شأوه يلحق»[٤].

-معجم الأدباء/ ياقوت الحموى، جـ٢ ص٦٠٥.

(١) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٦٢.

- مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٤٨.

(٢) مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٢٥، ٢٦.

(٣) مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٤٣، ٤٤.

(٤) التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً/ ابن خلدون، ط دار الكتاب اللبنانى – بيروت د.ت. ص١٣٠.

وتأثر بها من بعده أدباء الأندلس ومنهم «أبى يحيى ابن عاصم»[١]، الذى كان يسميه أهل زمانه «ابن الخطيب الثانى»[٢]، وأدباء المغرب وقد رصد الدارسون هذا التأثر[٣]، ومنهم عباس الجرارى الذى لاحظ تأثر «محمد بن على الفشتالى» وابن إدريس «أبى عبد الله العمراوى» وهما من كتّاب العهد السعدى الذى يبدأ عام (٩١٥هـ -١٠٦٩م)، بفن «ابن الخطيب» وخاصة تأثر «ابن إدريس العمراوى» بأسجاعه فى مؤلفه «رحلة الطيف»[٤]. وقد أكد ذلك المقرى الذى عاصر الغرب الإسلامى فى العصر السعدى وكان شاهداً على تأثر أدباء عصره بقوله: «وناهيك أن كتبه الآن قبلة أرباب الإنشاء التى إليها يصلون، وسوق دررهم النفيسة التى يزينون بها صدور طروسهم ويجللون، وخصوصاً كتابه «ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب»[٥] الذى أورد فيه «ابن الخطيب» هذا النص الرحلى «خطرة الطيف».

ولعل المقرى نفسه بكتابه نفح الطيب أكبر دليل على تأثره به وانتهاج منهجه، وامتد التأثر بطريقة استعماله للتحاسين البلاغية والمحسنات البديعية إلى العصر الحديث، ولعل فى تأثر «محمد بن أبى بكر التطوانى» الذى تشرب طريقته فى الإنشاء وازدانت بمحسناته البديعية كتابه «ابن الخطيب من خلال كتبه»[٦] وغيره من المؤلفات الذى نهج فيها الأسلوب البديعى لابن الخطيب أكبر دليل على سريان تيار أسلوب ابن الخطيب البديعى فى تراثنا الأدبى حتى عصرنا الحاضر.

---

(١) يراجع: جنة الرضا فى التسليم بما قدر الله ورضا/ يحيى بن عاصم، تحقيق صلاح جرار، ط دار النشر بالأردن ١٩٨٩م، ص٦٧-٦٨.

(٢) نفح الطيب/ جـ٨ ص٢٥٤- ٢٥٦.

(٣) يراجع فنون النثر الأدبى فى آثار لسان الدين ابن الخطيب/ المجلد الثانى، ص٣٧٧ -٤٠٢.

(٤) الأدب المغربى من خلال ظواهره وقضاياه/ عباس الجرارى، ط مكتبة المعارف بالمغرب ١٩٧٩م، ص٣٨٩.

(٥) نفح الطيب/ جـ٨ ص٢٧٠.

(٦) يراجع: ابن الخطيب من خلال كتبه/ محمد أبى بكر التطوانى.

تاسعاً: سهولة اللغة وسلاسة الأسلوب على الرغم من كونها مترعة بالأساليب البديعية والبيانية

فاللغة فى «خطرة الطيف» لغة سهلة وسلسة تكثر فيها الاستعارات والتشبيهات والصور المجازية والمحسنات البديعية التى تشكلت تشكيلاً دقيقاً وبديعاً وفريداً فى سلاسة تعبيرية عذبة اكتسبت سهولتها من خلال استخدامه لأساليب متداولة على نطاق اللغة العادية الشعبية، استطاع «ابن الخطيب» أن يكسبها من خلال فنية تركيبها سمة أدبية من ذلك قوله: اللهم غفراً[١]، و«انقادت إلى الحق والحق أحق أن يتبع»[٢]، و«حيينا دار حمدة بالسلام»[٣]، و«رفعوا بالسلام النداء»[٤]، و«لما فاض نص الصباح ونادى منادى الصلاة حى على الفلاح»[٥]، الذى يستحضر من خلال صياغته أسلوب القص الشعبى و«فقد ذبحت لكم غراب البين»[٦]، «فعوذناها من كل خطب فادح»[٧]، «فقلت يا بنى اللكيعة ولو جئتم ببازى فماذا كنت أجازى»[٨].

بالإضافة إلى استحضار الآيات والتعبيرات القرآنية الماثلة فى الأذهان والوجدان والتى لا تخلو منها فقرة من فقرات نصه الرحلى، وأبيات الشعر السائرة، والأمثال الذائعة[٩]، والأدعية المتداولة والأعلام والمعالم المشهورة التى أعطت النص ألفة وسهولة.

(١) مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٤٨.
(٢) المصدر السابق/ ص٢٩.
(٣) المصدر السابق/ ص٣٠.
(٤) المصدر السابق/ ص٤٣.
(٥) مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣٠.
(٦) المصدر السابق/ ص٣٧.
(٧) المصدر السابق/ ص٤٥.
(٨) المصدر السابق/ ص٣٧.
(٩) المصدر السابق/ ص٣٦، ٤٦، ٤٨، ٥٠.

بعكس ما ذهب إليه بعض النقاد الذين توقفوا عند الضبابية الفنية لبعض الألفاظ والتعبيرات التى سرعان ما تتكشف، والتى هى سمة من السمات التى سمت بالنص من نطاق اللغة العادية إلى شاعرية الخطاب النثرى.

عاشراً: الإيجاز والتكثيف

يتسم النص الرحلى فى «خطرة الطيف» بإيجازه وتكثيفه بالتلميح[١]، الذى أغنى عن سرد الكثير من الأحداث سواء كانت أحداث تتصل بالرحلة أو ما تستدعيه من ذكريات، فنص «خطر الطيف» يبدو محدوداً لكن من حيث فضائه النصى ذا كثافة أدبية وثقافية عالية.

ومن الإيجاز: تركيز زوايا التقاطه على الأماكن التى أثارته وشدت انتباهه ولذا لم يقف عند العديد من الأماكن والمدن ومر بها مروراً لا يتعدى ذكر اسمها فى رصده لمسار رحلته مثل «عبلة»، «لورسانة» اللذان تخطاهما بذكر اسميهما فقط بقوله: «واستقبلنا عبلة ولورسانة وأنخنا الركائب بظاهر فنيانة»[٢].

ومدينة «أشكوازر» التى لم يتعدى قوله «ووصلنا(...) إلى أشكوذر»[٣].

وفى عرضه الموجز للعديد من المدن مثل: «مرشانة»[٤]، وحصن الببول»[١]، و«قنالش»[٢]، و«حصن شيرون»[٣]، وإيجازه لما دار من حوار بينه وبين قاضى «قنتورية» بقوله: «فلم يكن إلا كلا ولا»[٤].

---

(١) التلميح عند البلاغيين: هو أن يشير الناظم فى بيت أو قرينة سجع أو قصة معلومة أو نكتة مشهورة أو بيت شعر حفظ لتواتره أو إلى مثل سائر يجريه فى كلامه على جهة التمثيل.
معجم البلاغة/ بدوى طبالة، ط الأولى منشورات جامعة طرابلس ١٩٧٥م، جـ٢ ص٨١٦.

(٢) مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٤٨-٤٩.

(٣) المصدر السابق/٤٢.

(٤) المصدر السابق/٤٨.

والتكثيف من خلال التلميح بأحداث حالية مثل ما يتهدد شرق وادى «آش» من هجمات العدو المتتالية التى جعلت الركب يتجنب المرور بها قائلاً: «وقمنا وعن إتباع آثارها بمعزل نظراً للمدينة فى مهمات الأمور»(٥).

فيلمح بمهمات الأمور ولا يصرح بها مع أن أحداثها ماثلة فى الأذهان فيستحضرها.

ويلمح بخروج «وادى آش» عن حكم «بنى نصر» وما اجتاحها من الفتن والاضطرابات المتوالية التى انتهت بعودتها لكنفهم أخيراً. باستحضار الآية القرآنية قائلاً: «ومسها طائف من الشيطان ثم تذكرت»(٦)، مكتفياً بالتلميح بها عن سرد تلك الاضطرابات التى تَمْثُل فى الأذهان.

وكذلك الاستدعاء للأعلام والرموز والبلدان ذات الأبعاد الفكرية والمعرفية والشحنات الشعورية والعاطفية فى نصه الرحلى لما فيها من تكثيف وتركيز وإشارة خفية ليكسب النص عمقاً فنياً.

ومن ذلك استدعاؤه لـ«حمدة بنت المؤدب» الشاعرة الأندلسية فى قوله فى «وادى آش»: «فشاهدنا معالم الأعلام وحيينا حمدة بالسلام، وتذكرنا عمارة نواديها، وتناشدنا قولها فى واديها»(٧).

وقوله فى مدينة «وادى آش»: «لم نحفل بقول ابن أبى العافية».

---

(١) المصدر السابق/٣١.
(٢) المصدر السابق/٣٣.
(٣) المصدر السابق/٣٤.
(٤) المصدر السابق/٣٧.
(٥) المصدر السابق/ص٣٠.
(٦) مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ص٢٩.
(٧) المصدر السابق/ص٢٨.

فإذا هو عند ذكره لـ«ابن أبى العافية» يستدعى تاريخ دولة «بنى أبى العافية» فى المغرب العربى فى القرن الرابع الهجرى (٣١٣هـ-٣٨٧هـ) وقائدها العسكرى موسى بن أبى العافية المكناسى الذى نكل بالأدارسة، وفرض سيطرته على المغرب العربى، وتولى الحكم من (٣١٣هـ-٣٤٥هـ) بعد أن حقق العديد من الانتصارات[١]، ويستدعى المناسبة التى قال فيها هذين البيتين، كما يستدعى سياق دورانهما فى العديد من نصوص الرحلة التى سبقته.

وكذلك استدعاؤه لمن حل «بفحص الأنصار» عند الفتح الأول وأحداث فتح الأندلس ومنهم «سعد بن عبادة» الصحابى الجليل[٢]، واستدعاؤه للمتنبى ودنانيره التى تنثر[٣]، والتى يستحضر بها قول المتنبى فى شِعب بوان[٤]:

فألقى الشرق منها فى ثيابى دنانير تفر من البنان

والقاضى عياض[٥]، وزهير «بهاء الدين زهير»[٦]، وابن هانئ[٧]، وأبى نواس، ومذهبه فى الخلاعة والمجون وأمه «أم حسن»[٨] وغيرهم. **والعديد من البلاد والأماكن** التى لها دلالات فى التاريخ الحضارى والإنسانى ولها صداها فى وجدان المتلقى وفكره ومن ذلك أم القرى، والبيت الحرام، زمزم، والطواف، والغوطتين[٩]، وبلاد جلق[١٠]،

(١) يراجع: تاريخ ابن خلدون/ جـ٥ ص١٨٥-٢٥٨.
(٢) مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣٣.
(٣) المصدر السابق/ ص٣٥.
(٤) شرح ديوان المتنبى/ للبرقوقى جـ٤ ص٣٨٦.
(٥) مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣٣.
(٦) المصدر السابق/ص٣١.
(٧) المصدر السابق/ص٤٤.
(٨) المصدر السابق/ص٣٥.
(٩) المصدر السابق/ص٤٧.
(١٠) المصدر السابق/ ص٣٢.

ودمشق الشام وبغداد العراق[١]، ومصر[٢]، والعلياء فالسند فى شبه الجزيرة العربية[٣]، والعديد من المعالم التى تثير كوامن النفس وتستدعى الأحداث ومن ذلك بهو خيران وقصر صمادح وقلعة المرية[٤]، ومسجد الجنة وباب المسك فى بسطة وقلعتها[٥]، وقصر الحمراء[٦]، والأهرام[٧].

الحادى عشر: شاعرية اللغة وجماليات الصورة الفنية

إذا كان النسيج التصويرى أداة أسلوبية لبناء الحدث فى سياق الحدث العام للحكاية فإن «خطرة الطيف» التى اعتنى كاتبها عناية بالغة ببنائها اللغوى والتصويرى قد استطاع أن يهتم بكل صورة من صوره فكانت صوره جزءاً من مشهدٍ حكائى متكامل متناسق.

ولذا برزت الصورة الفنية وجمالياتها مميزة للنص الرحلى لدى «ابن الخطيب»، كسمة من أبرز سماته فقد التزم بميثاقه الذى التزم به فى التقديم لرحلته بقوله:

فقلت خذيها من لسان بلاغة ∴ كما نظم الياقوت والدّرُ فى عقد

فبرع فى الأخذ بمحاسن السجع، وتفنن فى استعمال ألوانه بمهارة فائقة، فأضفى عليها الحيوية والتنوع والموسيقية، وزواج بينه وبين الجناس الذى نجح فى استغلال كل فنياته، على المستوى اللفظى الذى عمق موسيقى السجع، وعلى مستوى البنية العميقة التى أكسبها ضبابية من خلال إيهامه بالتماثل الذى لا يتحقق، محققاً شاعرية اللغة مع

(١) المصدر السابق/ ص٥٣.
(٢) المصدر السابق/ ص٣٩.
(٣) المصدر السابق/ ص٤٦.
(٤) مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٤٥.
(٥) المصدر السابق/ ص٣٢.
(٦) المصدر السابق/ ص٥٢.
(٧) المصدر السابق/ ص٣٩.

دقة الصورة التعبيرية وجماليات الصورة البيانية التى يغلب عليها التشخيص، ويمتزج فيها بالطبيعة وتمتزج الطبيعة به، فتشاركه مشاعره وأحاسيسه، مما يبعث فى النص التدفق والحيوية، ويتداخل الشعر بموسيقاه وشاعريته ليعلى من شاعرية نثره فغدت كل صورة من صوره الفنية لوحة فنية متميزة، يتداخل فيها اللفظ الموحى المعبر، والصورة البلاغية البديعة، والأسلوب المترع بالموسيقية القادر على استدعاء تجارب غنية، والنصوص المتداخلة فى حوارية وضبابية فنية، مع غموض التورية والكناية والجناس الموحى بالتماثل الخادع لفظاً المتنوع معناً، المصاحب للترصيع والسجع المتنوع، والفقرات المتوالية المتآلفة، فى تناغم بديع وسهولة وسلاسة تلقائية آسرة.

ومن ذلك قوله فى وصف «بسطة»: « يا لها من عقيلة، صفحتها صقيلة، وخريدة، محاسنها فريدة، وعشيقة رشيقة، لبست حلى الديباج الموشى، مفضضة بلجين الضحى، مذهبة بنضار العشا، وسفرت عن المنظر البهى، وتبسمت عن الشنب الشهى، وتباهت بحصونها، مباهاة الشجرة الشماء بغصونها(...)»[1].

راسماً لها صورة مبهجة مشخصاً إياها بصورة المرأة العقيلة الجميلة المصونة الفريدة المحاسن، التى ارتدت حلى الديباج الموشى المفضض فى الضحى والمذهب فى المساء، فهى ينعكس على أنهارها ضوء الضحى فيجعلها مفضضة بأشعته الفضية، وينعكس عليها ضوء الشمس عند الغروب بأشعته الذهبية فيجعل أنهارها مذهبة، وهى قد كشفت عن بهاء منظرها، وصفاء وتلألأ أنهارها وعذوبة وتلألؤ ثغرها الشهى عند التبسم (عذوبة مائها الشهى)، وتباهت بكثرة حصونها مباهاة الشجرة الشماء بغصونها.

فإذا هو يبث فى الطبيعة الحياة والحيوية من خلال العديد من الاستعارات التشخيصية التى يشخصها بفتاة تلبس حلل الديباج الموشى المفضض تارة والمذهب تارة أخرى، وتكشف عن بهاء وجهها ومحاسنها فهى تسفر وتبتسم وتباهى فتتآزر

(١) مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣١-٣٢.

الصورة الفنية مع جمالية الصور البديعية المكثفة من جناس وسجع وتوازن بديع ليعلى من موسيقية الصورة وتأثيرها.

ومن صوره الفنية وصفه لشدة هطول الأمطار التى واجهتهم فى «وادى المنصورة» بعد خروجهم من «قنتورية» بقوله: « نهيم فى ذلك الوادى، ونكرع[١] من أطواقنا فى غدران الغوادى وقد تهدلت الفروع، وخضلت[٢] بالغيث تلك الزروع كأنما أخلفتها الريح فترامت، وسقتها كؤوس السحب حتى سكرت ونامت، والمذانب أمثال الصلال قد تفرعت، وكأنما رعناها فانسابت أمامنا وأسرعت، ومخيلة الصحو لا تتوسم والجو نستضحكه بشأننا فلا يتبسم».

ومن ذلك تصويره لوعورة طريق «بيرة» بقوله:

«استقبل بنا شعباً مقفلاً ومسلكاً مغفلاً، وسلماً حرج الدرج سامى المنعرج تزلق الذر فى حافاته، وتراع القلوب لتوقع آفاته، ويتمثل الصراط عند صفاته أوعار لا تتخلص منها الأوعال، ولا تغنى السنابك فيها ولا النعال. قطعنا بياض اليوم فى تسنم جبالها، والتخبط فى حبالها، نهوى من شاهق إلى وهد، ونخوض كل مشقة وجهد، كأننا فى حلم محموم، أو أفكار مغموم (...) ثم أخذنا فى الانحدار بأسرع الابتدار نهوى من المرقب السامى الذرى ونهبط من الثريا إلى الثرى، ونتمثل فى ذلك المسلك الوعر، بقول الشاعر:

بطريق «بيرة» أجبل وعقاب ... لا يرتجى فيها النجاة عقاب
فكأنما الماشى عليها مذنبٌ ... وكأنما تلك العقاب عقاب

(١) مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣٨-٣٩.

(٢) خضلت: أى: بلتنا بلا شديداً.

نكرع: نتناول الماء بفينا من موضعه، ونكرع ننزل بالماء حتى يصل إلى قبل الركبة.

حتى إذا استوينا على صفة الأرض، وتذكرنا بذلك الصراط يوم العرض تخلصنا من السبيل الوبيل»[١].

وتغلب على هذه الصورة الصور التعبيرية التى يمتزج فيها الوصف بالسرد وإن تواجدت فيها الصورة البيانية والمتمثلة فى التشبيه نهوى من شاهق إلى وهد، ونخوض كل مشقة وجهد كأننا فى حلم محموم، أو أفكار مغموم والتى توضح صدى ما عانوه الذى يتعدى الحقيقة إلى الحلم والواقع إلى الأفكار ولكنه ليس أى حلم إنه حلم محموم يعانى ألم الحمى التى تفقده الوعى، وتجعله يخلط بين الأمور والأشياء والأحداث. وأفكار ليست كأى أفكار إنها أفكار مغموم تحمل كل الشحنات السلبية، والأفكار المزعجة السيئة، خاصة وقد استخدم صيغة المبالغة مفعول فى كليهما؛ ليرتفع بتصوير أثر معاناتهم من وعورة الطريق التى عمقها من خلال تمثله ببيتى الشعر «بطريق بيرة أجبل وعقاب(...).

والتى استطاع أن يجعلها ترتفع بموسيقى الصورة الفنية الناتجة من الجناس والترصيع والسجع.

ومن ذلك تلك الصورة السريعة التى صور بها انصرافهم من «وادى آش» باتجاه مدينة «وادى آش» قائلاً: «ولما ابتسم ثغر الصباح، وبشرت بمقدمه نسمات الرياح، ألغينا عمل السراج، إلى الإسراج، وشرعنا فى السير الدائب، وصرفنا إلى وادى آش صروف الركائب»[٢].

والتى تتآذر فيها الاستعارة المكنية التشخيصية التى تضفى روح من السعادة والبهجة، فثغر الصباح يبتسم، ونسمات الرياح تبشر بمقدمه، مع الجناس بضبابيته فالتماثل بين السراج والإسراج قد يوهم اللفظ بتكرار نفس المعنى، لكن المعنى يختلف فالسراج الذى يضاء والذى يلغى عمله بدخول ضوء الصباح مغير للإسراج للخيل

(١) مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٤٠-٤١.
(٢) مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ص٢٨.

استعداداً لمواصلة السير مع وجود رابطة بينهما وهى التوالى فعادة لا يتم الإسراج إلا بعد إطفاء السراج.

وصرفنا يختلف عن صروف وإن أوهم تشابه لفظيهما بالتشابه فصرفنا معناها وجَّهنا، وصروف الركائب معناها: أنواع الركائب.

وموسيقى الجناس مع موسيقى السجع المتوازن، وموسيقى الحروف التى تشيع فيها حروف السفير، لتعلى من موسيقيتها ليقترب بها إلى شاعرية الصورة الفنية.

ومن ذلك قوله فى مدينة «وادى آش»: «تبكى السحاب فيضحك نورها، ويدندن النسيم فترقص حورها

بلـــد أعارتـــه الحمامـــة طوقهـــا وكســـاه حســـن جناحـــه الطـــاووس
فكأنمـــا الأنهـــار فيهـــا مدامـــة وكـــأن ســـاحات الـــديار كـــؤوس

معقلها بادى الجهامة، تلوح عليه سمة الشهامة»[1].

الذى يُكسب فيه «ابن الخطيب» البكاء ضحكاً، والسحاب وغيومها نوراً من تفتح أزهارها من خلال المفارقة التصويرية، والمقابلة بينهما فى حوارية عذبة كفعل ورد فعل (تبكى السماء فيضحك نورها) بعد أن أردفها باستعارة مكنية تشخيصية أخرى تعمق هذا الفرح والمرح وتجعله يسيطر على الصورة «ويدندن النسيم فترقص حورها»، فيسمعنا دندنة ورقصاً ومرحاً يسيطر على الصورة فى تناغمٍ تام بين النسيم والحور، وعناقيد العنب المتلألئة التى تُرَقّصها دندنة النسيم. ويُكسب «ابن الخطيب» صورته الواضحة ظلالاً وضبابيةً محببة تزيد من بهائها من خلال تلك التورية بالحور ومعناها القريب المرأة المتلألئة، والتى تشبه نساء الجنة، اللائى لا يدانى جمالهن جمال ولا بهائهن بهاء، والتى يريد منها المعنى البعيد ألا وهو نوع من العنب حباته متلألئة.

(١) مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ص٢٩.

ويعلى من روعة جمال هذا الوادى من خلال التناص مع بيتى «ابن اللبانة» اللذين سارا مضرب الأمثال فى جمال الطبيعة الخلابة التى تأسر العيون والقلوب، وتستأثر بالنفوس، موظفاً لكونهما من الأبيات السيارة التى حُمِّلت بكمٍ هائلٍ من التجارب الإنسانية والشحنات الوجدانية من خلال تداولها فى العديد من النصوص، وتناص العديد من الشعراء معها، ليكثف بطاقتها التعبيرية إحساسنا بالجمال الآسر لتلك المدينة، ويكمل صورة تدفق الأنهار والجداول فيها التى تشرف عليها ساحات ومشارف البيوت، والتى يسلب ماؤها الذى يتخلل رياضها بصفائه وعذوبته العقول. مستحضرا صورة النشوى، وصورة تلك الأنهار التى تنساب فى الحدائق، وكأنها مدامة وكأن الساحات والرياض والجنان المحيطة بالدور كؤوس تنساب فيها تلك المدامة وتتدفق بسلاسة.

فإذا هو يكسب صورته الضاحكة المتلألئة المدندنة الراقصة جمال تداخل الألوان الزاهية المبهجة التى يكب فيها الأخضر مع الأزرق مع الضى والنور، وجمال ألوان جناح الطاووس الآسرة مع نشوى المدامة ليكمل صورته الفنية المبهجة التى يتداخل فيها اللون والصورة والصوت والشعور، ويتكامل فيها الحس والوجدان، ويكسبها الشعر بموسيقاه وصوره الفنية ثراءً موسيقياً وتصويرياً يزيد من موسيقى الجناس والسجع المتوازن المتناغم ومن ثراء الصورة الفنية مما يزيد شاعرة لغتها.

ويتفنن «ابن الخطيب» فى إكساب صوره الفنية مع وضوحها وجمالها تداخلاً وضبابية شفافة آثرة ومن ذلك قوله مصوراً تداخل جمال الطبيعة مع جمال نساء الوادى: «فرأينا الحور تحت سماط الحور، والنور تحت بساط النور»[1]، الذى تلعب فيه المفارقة التصويرية دوراً بارزاً تعمقه المقابلة بين الصورتين، موظفاً بدقة ومهارة بارعة ضبابية التورية والجناس وموسيقاه مع موسيقى السجع والتوازن النغمى الآسر، ومن ذلك قوله فى «مرشانة»:

(١) مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ص٤٨.

«هى الكوكب الأعلى، والأشهب المحلى، والصباح إذا تجلى، والعروس على المنصة تجلى، وبها حلت الغيوم سموطها، ومدت عناكب السحاب خيوطها، فبتنا وعيون المزن باكية، والمنازل من توقع فراقنا شاكية».

فتتضافر التشبيهات المتتالية (الكوكب الأعلى، والأشهب المحلى، والصباح إذا تجلى، والعروس على المنصة تجلى) بصيغها وإيحاءاتها المتنوعة، التى تضفى روح من البهجة والسرور والتألق مع الاستعارات المتتالية بإضاءاتها الحزينة القاتمة (عناكب السحاب، وعيون المزن الباكية، والمنازل من فراقنا شاكية) جاعلاً الطبيعة تتفاعل معه ويتفاعل معها من خلال مشاركة وجدانية فى صور بصرية وسمعية وحركية متلاحقة محققة للمفارقة التصويرية التى تعمق الصورة على مستوى البنية التصويرية المترعة بالبنية الموسيقية من خلال التوازن الموسيقى وموسيقية السجع المتنوع والجناس وموسيقى الحروف والكلمات(١).

وقوله فى تصوير جمال الطبيعة الآسرة لوادى المنصورة: «سمر الأندية، وسلطان الأودية، يا لها من أرائك مهدلة السجوف، وجنات دانية القطوف، ينساب فيها العذب الزلال، أرقم سريع الانسلال، وصارم يغمد فى جفون الظلال، يتلاعب بين أيدينا شمالاً ويميناً، فطوراً تنقلب عصاه ثعباناً، وآونة تنعطف صولجاناً، وتارة تستدير أفلاكاً، وربما نسجت منه أيدى الرياح شباكاً، وأم حسن فيه ذات لسن، تبعث بنغماتها لواعج الشجون، وتقيم دين ابنها فى الخلاعة والمجون، وسرنا ودر الحصى بساط الأرجل ركابنا، ودنانير أبى الطيب تنثر فوق أثوابنا، ترقب نجوم القلاع والحصون من خلال سحاب الغصون...»(٢).

(١) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٦١-٢٦٢.
- مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٤٨.
(٢) مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣٤-٣٥.

وفى هذه الصورة المترعة بالحياة والتدفق والحيوية والتجدد والمرح والانطلاق والموسيقية التى يبدو فيها الكاتب ساحراً يرينا ألواناً من سحره وقدراته التعبيرية والتصويرية التى تستدعى لمخيلتنا صوراً وضروباً من السحر والعجائبية من موروثنا الشعبى (صورة الساحر) والدينى (عصا موسى عليه السلام) والشعرى لأشعار أبى نواس فى الخلاعة والمجون، ووصف المتنبى لشعب بوان ليعمق الصورة ويكثفها مطعماً إياها بمسحة من الشجن الممتع الذى يُتلذذ به ويُستمتع، مسحة سريعة خاطفة كالبرق (وأم حسن فيه ذات لسن تبعث بنغماتها لواعج الشجون، وتقيم دين ابنها فى الخلاعة والمجون) يحاصرها الحسن واللسن من أمامها وتتداخل معها النغمات من خلالها وتليها الخلاعة والمجون من خلفها محققة المفارقة التى تشد الانتباه وتجدد الإحساس بجماليات الصورة وموسيقيتها.

وتظهر طرافة الصورة وجدتها من خلال التجديد فى تركيب الصورة ونظم مكوناتها التى لم تتلاق وتجتمع على هذه الصورة من قبل، وإن كان كل منها يوجد منفرداً، بالإضافة إلى الإضافات الإبداعية التى تثرى وتكمل الصورة المتناصة والموظفة بحرفية، فلم يقف «ابن الخطيب» عند حدود تصوير أشعة الشمس التى تتخلل من أغصان الوادى المتشابكة بدنانير «أبى الطيب» التى تنثر فوق الثياب بل جعلها مشدودة مجذوبة متطلعة ترقب نجوم القلاع والحصون من خلال سحاب الغصون فهى متأملة ولم يجعلها تفر من البنان كما جعلها «أبو الطيب المتنبى» فأثرى صورته بصورة جديدة طريفة فالدنانير ترقب نجوم القلاع والحصون التى تظهر وتختفى فتزداد إضاءةً وتألقاً، ولكنها سرعان ما تختفى تلك النجوم من خلال تلك الغصون التى تحجب ضوء الحصون كما تحجب السحاب ضوء النجوم، والتى سرعان ما تتحين الفرصة للظهور، ملائماً بين تلك الصورة والصورة الفنية المتكاملة للنص الرحلى وموضوعه، والعاطفة المسيطرة على النص والعاكسة للحالة الشعورية للمبدع. فإذا هو يجعل تلك الدنانير المتخيلة تشاركه مشاعره واهتمامه وأفكاره، فجعلها مشدودة منتبهة

مرابطة يقظة ترقب وترصد أضواء تلك القلاع والحصون المتخللة من تلك الغصون تتألق بتألقها، وتسعد برؤيتها متلألئة، لأن إضاءتها تعنى صمودها وسلامتها فإذا هو يخلع مشاعره وأحاسيسه، ورؤاه على تلك الدنانير التى يجعلها تشاركه مشاعره وأحاسيسه ورؤاه فيعطى لدنانير «أبى الطيب المتنبى» بعداً جديداً، مع استفادته وتوظيفه للبعد التراثى التى تمثله عبر العصور، مكونة صورة من الصورة الكلية، التى يرسمها لهذا الوادى وما أجمل تعبيره بـ «ينساب، يتلاعب، تتقلب، تنعطف، تستدير، نسجت، تبعث، تقيم» بتلك الأفعال المضارعة المتتالية المتدفقة والتى تجعل المشهد متتابع الحركة، حاضراً ماثلاً للعيان، يشارك فيه ويتفاعل معه. ويلعب الطباق والمقابلة دوراً بارزاً فى هذا التحرك ليملأ المشهد «شمالاً ويميناً وأعلى وأسفل» «ودر الحصى بساط الأرجل ركابنا، ودنانير أبى الطيب فوق ثيابنا»، وتأتى (طوراً، وأونة، وتارة) لتدْعم هذا التلاعب فى المشهد والتجدد، وتكسب المشهد حيوية وتدفقاً، ودهشة إعجابٍ بأساليب هذا الساحر «نهر المنصورة» المخترق للوادى. ويثريها الكاتب بتنوع أساليبه بين الجمل الفعلية التى أكسبت صوره الفنية حيوية وتنوع وتجدد، والجمل الاسمية المتوالية التى ترسخ وتثبت وتؤكد حقيقة ثابتة بكونه، «سمر الأندية وسلطان الأندية» وتتضافر باقى عناصر الصورة والمشهد لتؤكد تميزه من خلال هذا العرض الساحر لنهره وأرائكه، وروعة منظره، وجماله الخلاب، وجمال طبيعته التى سمت عن جنان الأرض إلى جنان السماء. متناصاً مع النص القرآنى «فى جنة عالية قطوفها دانية» بثقله الفنى والروحى والدينى، الذى أصبح مكوناً من مكونات الصورة الفنية، وحركية وتدفق وحيوية الجمل الفعلية المتتالية التى أثرتها وغلفتها بالإعجاب والانبهار الجملة الإنشائية الندائية التى حملت الدهشة: «فيا لها من أرائك (...)، وجنات (...)، وماء زلال (...)، وأرقم(...)، وصارم (...)، يتلاعب (...)، وأم حسن(...)، وخلاعة ومجون، ودر الحصى، ودنانير أبى الطيب، ونجوم الحصون، وسحاب الغصون» وموسيقى حروف الصفير «س، ص، والزاى» التى تتغلغل فى البنية التصويرية (سمر،

سلطان، السجوف، ينساب، الزلال، الانسلال، صارم، عصاه، صولجاناً، تستدير، نسجت، حسن، لسن، بساط، سحاب، الغصون) ويتغلب انتشار صوت السين الأقوى صفيراً فالصاد؛ ليضفى على الصورة موسيقى تصويرية متناغمة من صفير الطيور وانسياب المياه. وتتضافر معه حرف (النون) الأكثر رنيناً (الأندية، سلطان، وجنات، ينساب، الانسلال، جفون، أيدينا، يميناً، فطوراً، ثعباناً، صولجاناً، تارةً، أفلاكاً، نسجت، حسن، ولسن، نغماتها، والشجون، دين، ابنها، والمجون، وسرنا، وركابنا، دنانير، تنثر، أثوابنا، نجوم، من، الغصون)، ليزيد من غنائية موسيقاه.

وتتضافر موسيقى الحروف وتمتزج مع موسيقى السجع (الأندية والأدوية، السجوف، والقطوف، الزلال، والانسلال، والظلال، يميناً وثعباناً، وصولجانا، وأفلاكاً، شباكاً، لسن الشجون والمجون، ركبنا وأثوابنا، الحصون والغصون) وموسيقى الجناس التى تتداخل مع السجع ومن ذلك (الأندية ودانية، الزلال والظلال، والحسن واللسن، والشجون والمجون والغصون) مع التوازن والاتساق البنائى للتراكيب فى معزوفة كاملة تعلى من بنيتها الموسيقية وترقى بها إلى الشاعرية فيقترب النثر من الشعر.

ولعل المتبع لهذه الصورة الفنية يرى أن الكاتب بدأ صورته بمتوالية من التشبيهات البليغة، ليصل إلى العديد من الاستعارات المكنية التشخيصية لرسم صورته البيانية التى تتكامل مع الصورة التعبيرية والصيغة السردية التى يتابع ويوالى بها مشاهداته بسلاسة وفنية الأديب المتمكن من أدواته التعبيرية.

وتأتى التورية بـ«أم حسن» والتناص مع النص القرآنى والشعرى والموروث الشعبى، والاستدعاء للأعلام والرموز لتلعب دوراً فعالاً فى تعميق الصورة الفنية، وإكسابها إضاءات وظلالاً وضبابية ساحرة فيبدو «ابن الخطيب» الأديب الساحر المتمكن من أدواته المظهر لمهاراته بتكثيف وإتقان آسر من خلال شاعرية الصورة الفنية المترعة بالموسيقى.

ولعل هذه القدرة والتمكن من فنيات الصورة الفنية لدى «ابن الخطيب» هى التى جعلت «أحمد أمين» يشيد بدقة وصفه وغزارة معناه[١]، وحدت بالشوابكة «أن يقول: «إن لغة ابن الخطيب سهلة واضحة تكثر فيها الاستعارات والتشبيهات»[٢].

وعده «الشكعة» مستجيباً للذوق السائد فى ذلك العصر، ومواكباً لأساليب النثر المشهورة وفى مقدمتها طريقة القاضى الفاضل»[٣].

وتعدى ذلك «محمد عبد الله عنان» الذى قال عنه: « أنه قطب الشعر والنثر فى عصره، ومحور الحركة الفكرية الأندلسية»[٤].

وأشاد «محمد مسعود جبران» بوصف ابن الخطيب فى «خطرة الطيف» قائلاً: إن وصفه: «يشربه بعواطفه ويمزجه بخوالجه، ويجلوه بعد ذلك فى مجلى أدبى حافل بروعة الصياغة وحسنة التخييل»[٥].

كما يشيد بخطرة الطيف قائلاً: أنها «من أطرف نصوص فن الرحلة فى أدبنا العربى» فقد استطاع «ابن الخطيب» أن يكون من أبرز الكتاب الذين امتطوا بأسلوبهم وبصورهم الفنية متون البلاغة والخيال المحلق ليرسم مجالى الطبيعة وما فيها من لوحات ومشاهد[٦].

الثانى عشر: المفارقة التى تسيطر على كافة مستويات البنية النصية

(١) ظهر الإسلام/ أحمد أمين، ط مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٢م، جـ٣ ص٢١٩.

(٢) أدب الرحلات الأندلسية والمغربية/ الشوابكة ص٦٤.

(٣) الأدب الأندلسى موضوعات وفنونه/ مصطفى الشكعة، ط دار النهضة العربية – بيروت ١٩٧١م، ص٥٧٢.

(٤) دولة الإسلام فى الأندلس (العصر الرابع نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين)/ محمد عبد الله عنان، الطبعة الرابعة، ط المدنى، نشر مكتبة الخانجى بالقاهرة، ١٤١٧هـ –١٩٩٧م، ص٤٧٢.

(٥) فنون النثر الأدبى فى آثار لسان الدين ابن الخطيب/ جـ٢ ص١٧.

(٦) المرجع السابق/ جـ٢ ص٢٧.

الرحلة لدى «ابن الخطيب» عالم متكامل مبنى على المفارقات فى البنية النصية بمستوياتها المختلفة.

وقد لعبت المفارقة بمستوياتها المختلفة دوراً حيوياً فى النسيج النصى لـ«خطرة الطيف» مما حقق للنص تنوعاً، واتساعاً وقوة جاذبة وآثرة، وانسجاماً فنياً، سواء على مستوى:

المفارقة فى المعنى: بالانتقال من الجدب إلى الرخاء، ومن الأنواء إلى الصحو، ومن الخطورة إلى الأمن، ومن الجبال إلى الوهاد، ومن الفلاة إلى الرياض، ومن الاستمتاع إلى المعاناة على مدى الرحلة.

ومن ذلك قوله فى وصف الطريق من فحص الأنصار إلى «حصن شيرون» والذى ينتقل فيه من الفلاة إلى الرياض ومن المعاناة إلى الارتياح. «ولم تزل الركائب تفلى الفلاة فرى الأديم، وأهلة السنابك صيرها السير كالعرجون القديم حتى ألحفتنا شجرات المصنبر بشذاها المعنبر، وراقتنا بحسن ذلك المنظر سوار مصفوفة وأعلام خضر ملفوفة(...)»[1].

ومن الجدب الذى نزل بـ «بقنتورية» إلى الرخاء بقوله: «وشكت إلى سعادة مقدمنا معرة القحط فظهرت مخيلة السعد، فأذن الله فى انجاز الوعد، وقربت غريم الغمام من المقام أعوان الرعد، فاعترف وسمح وانقاد لحكم القضا بعد ما جمح»[2].

ومن الأنواء والسيول فى العراء بعد خروجهم من مدينة «وادى المنصورة» إلى الصحو فى «بيرة» إذ يقول بعد أن وصف صعوبة تلك الأنواء وما صاحبها من ظلام

(١) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥٣.
-مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣٣.
(٢) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥٦.
- مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣٨.

وغيوم وما حل بهم من تعب وصعوبات[١]: «أرحنا يوماً صحا فيه الجو من سكرته، وأفاق من خمرته فقيل للنفوس شأنك وذماك، ويا أرض ابلعى ماءك، وتجلت عقيلة الشمس معتذرة عن مغيبها، مغتنمة غفلة رقيبها»[٢].

وقوله متنقلا من المشقة والجهد، ومن طلوع الجبال التى تزلق الذر فى حافاته وتراع القلوب لتوقع آفاته»[٣] إلى الأرض المنبسطة فى «وادى العبران» قطعنا بياض اليوم فى تسنم جبالها، والتخبط فى حبالها، نهوى من شاهق إلى وهد ونخوض كل مشقة وجهد(...) حتى إذا استوينا على صفحة الأرض وتذكرنا بذلك الصراط يوم العرض، تخلصنا من السبيل الوبيل وانتقلنا من الهمز إلى التسهيل[٤].

ومن وادى المنصورة بظلاله الوارفة والانبهار بجماله[٥] إلى العراء وأرض شبيهة بالصحراء بعد مدينة المنصورة[٦]، وهكذا على امتداد بنيته.

المفارقة الزمنية: بين زمن الرحلة المحدد بعشرين يوماً الذى يتقيد بالتتابع الزمنى للأحداث، وزمن السرد الذى لا يتقيد، فينتقل من زمن الحاضر إلى الماضى، ومن الماضى إلى الحاضر محققاً تداخل الأزمنة على صعيد واسع جامعاً بين السرد

(١) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥٧.
– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣٩.
(٢) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥٧، وردت و«وذماك» بينما وردت فى مشاهدات لسان الدين «ودمائك».
– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٤٠.
(٣) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥٧.
– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٤٠.
(٤) ريحانة الكتاب/ جـ٢ ص٢٥٨.
– مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٤١.
(٥) مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣٨.
(٦) المصدر السابق/ ص٣٩.

الاستذكارى من خلال التذكر والاستدعاء الذى يعود للماضى، والتواتر السردى الذى يتقدم بالحاضر السردى إلى الأمام والذى يعتمد على الإسراع من خلال خاصيتى القطع وتقنية التلخيص أو الإبطاء من خلال المشهد والحوار الذى يدرجه موجزاً ليُعفى من رتوب السرد ويدفع الحدث فى بنية النص.

المفارقة بين العديد من النصوص:

يتحاور ويتناص ويتجادل فى سياق بنية السفر المهيمنة على رحلة «خطرة الطيف» العديد من النصوص من نص قرآنى وشعر ونثر من مختلف العصور مع القصة والطرفة والمثل، والعديد من المعالم الجغرافية (الوديان، والهضاب، والأودية، والأنهار، والجبال ، والأنواء وأحوال الطقس) والمعالم التاريخية، وشخصيات أدبية وسياسية، وأماكن سواء كانت أماكن الرحلة أم غيرها عبر مراحل زمانية متفاوتة ومتفارقة.

على مستوى البنية اللغوية: وتلعب المفارقة دوراً مهماً فى البنية اللغوية التى تنعكس على بناء النص بجميع مستوياته، فتكسبه إيضاحاً وترسيخاً وحيوية وجاذبية من خلال بنيتى «الطباق» و«المقابلة».

فتظهر تلك المفارقة اللغوية من خلال جمعه بين «الغرب والشرق»[١]، «وراح واغتدى»[٢]، و «قديم وحديث»[٣]، و «تعرفت وتنكرت»[٤] و« جف ونبع»[٥]، «وتبكى ويضحك»[٦]، و «البدر والسها، والضراغم والمها، والقانى والفاقع»[١]، «شمالاً

(١) مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٢٥.
(٢) المصدر السابق/٢٦.
(٣) المصدر السابق/٢٧.
(٤) المصدر السابق/٢٩.
(٥) مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ص٢٩.
(٦) المصدر السابق/ص٢٩.

ويميناً»[٢]، و «الشجون والخلاعة المجون»[٣]، و «الذرة والفيل، ودان ونازح، ونابل ورامح»[٤]،و «البكر والآصال»[٥]، و«كلا ولا»[٦]، و«المدح والقدح»[٧]، و«الزيادة والأدنى»[٨]، و«انقاد وجمح»[٩]، و «تنفس وزفر، وقطب وسفر»[١٠]، و«النمَّ والحجاب، السلب والإيجاب»[١١]، و« غار وفار»[١٢]، و«شاهق ووهد، الثريا والثرى»[١٣]، و «الهمز والتسهيل»[١٤]، و«السلم والحرب»[١٥]، و«رفع وخفض»[١٦]، و«عجم ويعرب، والهياط والمياط»[١٧]، و«زنجى الليل وثغر الفجر»[١٨]،(...) وهكذا على طول البنية

(١) مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب /ص٣٢.
(٢) المصدر السابق/ص٣٥.
(٣) المصدر السابق/ص٣٥.
(٤) المصدر السابق/ص٣٦.
(٥) المصدر السابق/ص٣٦.
(٦) المصدر السابق/ص٣٧.
(٧) المصدر السابق/ص٣٧.
(٨) المصدر السابق/ص٣٧.
(٩) المصدر السابق/ص٣٨.
(١٠) المصدر السابق/ص٣٨.
(١١) المصدر السابق/ص٣٨، النمَّ: الظهور، والصبح قد نم أى: ظهر ضوؤه.
(١٢) المصدر السابق/ص٣٩.
(١٣) المصدر السابق/ ص٤١.
(١٤) المصدر السابق/ص٤١.
(١٥) المصدر السابق/ص٤٣.
(١٦) المصدر السابق/ ص٤٤.
(١٧) المصدر السابق/ص٤٩.
(١٨) المصدر السابق/ص٥١.

النصية لرحلة «خطرة الطيف» تنساب المفارقة وتتغلغل فى البنية اللغوية؛ لتعمقها وتزيد من تماسكها وترابطها بفنية عالية من خلال الصورة الفنية التى تسلُكها.

علـى مستوى الصـورة الفنيـة تجمـع الصـورة الفنيـة بـين الـواقعى والمتخيـل، والملموس والمحتمل وتتضح المفارقة التصويرية فى رحلة «خطرة الطيف» من خلال واقعيتها، وواقعية الأماكن والمشاهد والأحداث والأشخاص والمعالم التى يعرضها الكاتب فـى إطـار لغـة شـاعرية، وتصـوير تخيلـى بـديع، يكسـبها شـكلاً جديـداً يحقـق المتعـة والجاذبية على طول النص الذى أثراه «لسان الدين ابن الخطيب» برؤاه وخياله وقدرته الإبداعية، فبعث فيها الحياة وجعلها تتفاعل معه ويتفاعل معها[١]، ويتجاذب فيها الواقع والخيـال علـى امتداد النص ومن ذلك قوله فـى تصـوير نهـر المنصـورة الـذى يخترق الوادى وتتبعه لحركته: «أرقم سريع الانسلال، وصارم يغمد فى جفون الظلال، يتلاعب بـين أيـدينا شـمالاً ويمينـاً، فتـارة تنقلـب عصـاه ثعبانـاً، وآونـة تنعطـف صـولجاناً، وتـارة تستدير أفلاكاً، وربما نسجت منه أيدى الرياح شباكاً»[٢].

وعلـى مسـتوى الأسـاليب: من خـلال تتداخل أساليب السرد والوصـف والحوار فى النص، فكما رأينا فى حديثه عن «قتورية» وقاضيها[٣] ينتقل الكاتب من السرد إلـى الوصف ومن الوصف إلى السرد داخل النص بتلقائية وانسيابية وانسجام فيضـع السرد فى إطار وصفى، والوصف فى إطار سردى، ويدمج الحوار بالسرد، والوصـف بـالحوار فى متتالية فنية جذابة.

❁❁❁❁

(١) يراجع: جماليات البناء اللغوى والبناء التصويرى من البحث.
(٢) مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣٥.
(٣) مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب/ ص٣٦-٣٧.

الخاتمة:

أولاً: نتائج البحث:

يستطيع البحث بعد أن طوف حول أدب الرحلة لدى لسان الدين ابن الخطيب «خطرة الطيف أنموذجاً» أن يسجل بعض الاستنتاجات والملاحظات ومن أهمها:

- الرحلة لدى «لسان الدين ابن الخطيب» ذات طابع أدبى فهى تعنى برصد الواقع ونقل الصور والمشاهد على نحو يحقق التأثير الوجدانى وينقل الأحاسيس والعواطف التى يجدها فى نفسه، ومن يجتلى تلك المشاهد والآثار والصور فى لغة أدبية تملأ النفس متعة وتأثيراً متعدية حد التسجيل والتدوين.
- على الرغم من كثرة رحلات «لسان الدين ابن الخطيب» داخل مملكة «غرناطة» وخارجها المتمثلة فى الممالك النصرانية المجاورة، مثل «قشتالة» و «أرجوان» وبلاد المغرب العربى، والتى يغلب على الظن أنه دونها إلا أنه لم يصل إلى أيدينا سوى رحلتين إحداهما لبلاد المغرب ألا وهى «نفاضة الجراب وعلالة الاغتراب» والأخرى لمملكة «غرناطية» ألا وهى «خطرة الطيف فى رحلة الشتاء والصيف».
- الرحلة لدى «لسان الدين ابن الخطيب» وإن كانت تسيطر على العديد من أعماله الأدبية، مثل «معيار الاختيار فى ذكر المعاهد والديار» و «مفاخرات مالقة وسلا» و «خطرة الطيف» و «نفاضة الجراب» وتظهر صداها فى العديد من مؤلفاته وترجماته إلا أن النص الرحلى بمعناه الدقيق لا يتبلور إلا فى عملين من أعماله، ألا وهما «خطرة الطيف فى رحلة الشتاء والصيف»، و«نفاضة الجراب وعلالة الاغتراب».
- تنوع أدب الرحلة لدى «لسان الدين ابن الخطيب» ما بين الرحلة التكليفية الجماعية التى يسيطر عليها الباعث الدينى والسياسى، والرحلة الترويحية السياحية الشخصية التى يتداخل فيها الباعث الترويحى مع الباعث العلمى والدينى والسياسى.

- نجح «لسان الدين ابن الخطيب» فى أن يجعل عنوان رحلته «خطرة الطيف فى رحلة الشتاء والصيف» مفتاحاً تأويلياً للنص وتعاقداً التزم به على مدار رحلته.
- أبدع «ابن الخطيب» فى تقديمه لرحلته التى مهدت لنصه الرحلى، فاعتنى فيها باختيار الأساليب الأخاذة، والإتحاف بالفواصل والأسجاع ولزوم ما لا يلزم، والإطالة فى التحميدات.
- استطاع «ابن الخطيب» أن يشد المتلقى ويجذبه بإكساب رحلته طابعاً وجدانياً وإنسانياً مشوقاً من بداية الرحلة حتى نهايتها.
- يبدو نص «خطرة الطيف» محدوداً لكنه من حيث فضائه النصى ذو كثافة أدبية وثقافية عالية.
- نجح «ابن الخطيب» فى توظيف تقنيات السرد فى نصه الرحلى بحيث توفر فيه المحاور الأساسية للبناء الفنى.
- «خطرة الطيف» نص رحلى بجدارة نظراً لتوافر خصائص النص الرحلى فيه وفقاً لأحدث المذاهب والاتجاهات النقدية الحديثة، والتى تتمثل فى:
- كون السفر فيها بنية مركزية جاذبة لغيرها من النصوص ومهيمنة عليها.
- بنيتها بنية سردية، فالسرد فيها خيط جامع لمفاصلها ابتداءً من عتبة النص ومروراً بتتابع مراحلها ومحطاتها ذهاباً وإياباً حتى الوصول إلى لوحة الختام.
- تتسم بالذاتية وتظهر فيها ذاتية المؤلف بجلاء فالسرد فيها سرداً مباشراً بعكس المقامة والرواية والقصة.
- الحكى فيها بضمير المتكلم الذى يعد تجلياً من تجليات النص الرحلى.
- ويسيطر على الحكى فيها ضمير المتكلم الجمعى الذى يتلاءم مع طبيعة الرحلة، وقد يتخلله ضمير المتكلم المفرد عند ذكر حدثٍ خاص يتعلق بالكاتب.
- تداول السرد والوصف فى بنية خطرة الطيف.
- تداخل الكثير من الأبيات الشعرية فى نسيج البنية النصية لخطرة الطيف.
- الواقعية على مستوى الأحداث والأشخاص، والمعالم والأماكن.

- دورة الخطاب بالرجوع إلى نقطة الانطلاق، وبذلك تميزت عن نصوص المنافى وأدب الهجرة والتهجير.
- تعدد المضامين وتداخل الخطابات.

كما تميز النص الرحلى فى «خطرة الطيف» بخصائص فنية خاصة تتمثل فى:

- اتساع المدى وفضاء النص الذى تعدى زمان الرحلة (العشرين يوماً) إلى أزمنة ممتدة عبر التاريخ الإنسانى بعصوره الممتدة، وعبر أماكن تعدت أماكن الرحلة المحصورة فى مدن شرق «غرناطة» إلى رحابة العالم الإسلامى الممتد الأطراف.
- حيوية العقدة وتماسك الحبكة الفنية.
- استطاع «ابن الخطيب» من خلال تماسك الحبكة الفنية فى رحلته «خطرة الطيف» أن يقترب بنصه من فنية القصة.
- ارتباط التبئير للرحلة بهدف «ابن الخطيب» الحياتى وبغرض الرحلة الجهادى، ألا وهو التصدى للعدو.
- انتشار النزعة الإسلامية وتغلغلها داخل ثنايا النص بشكل مكثف.
- يغلب عليها التفاؤل والمرح على الرغم من كونها رحلة تكليفية ورسمية على العكس من رحلة «نفاضة الجراب» التى يغلب عليها الحزن والزهد فى مباهج الحياة.
- تتسم بتواجد المرأة بشكل ملحوظ وصورتها على طول مسيرة الرحلة بخلاف «نفاضة الجراب» والكثير من الرحلات التى لا تكاد تظهر فيها صورة المرأة.
- صورة المرأة فى «خطرة الطيف» صورة مبهجة مرحة، فهى معادل موضوعى للوطن والإقبال على الحياة.
- انتشار دالة البعد والرحيل والوداع والشوق والحنين، والوجد والشجن والتذكر، والبُعد عن ألفاظ الغُربة والاغتراب على العكس من رحلة «نفاضة الجراب» التى تسيطر عليها ألفاظ الغربة والاغتراب.
- تداخل أسلوب الرسائل الديوانية والمقامة الأدبية فى أسلوب الرحلة.

- سهولة اللغة وسلاسة الأسلوب على الرغم من كونها مترعة بالأساليب البديعية والبيانية.
- الإيجاز والتكثيف المصاحب للتلميح.
- شاعرية اللغة وجماليات الصورة الفنية.
- تتسم الصورة الفنية فى «خطرة الطيف» بكونها مترعة بالحياة والحيوية، والتدفق والتجدد والمرح والانطلاق والموسيقية.
- تفنن ابن الخطيب فى إكساب صوره الفنية مع وضوحها وجمالها تداخلاً وضبابية شفافة آسرة.
- تتجلى طرافة الصورة الفنية وجدتها فى رحلة «خطرة الطيف» من خلال التجديد فى تركيب الصورة ونظم مكوناتها التى لم تتلاق وتجتمع على هذه الصورة من قبل، وإن كان كل منها يوجد منفرداً، مع إضافات إبداعية تثرى وتكمل الصورة التركيبية المتناصة والموظفة بحرفية.
- لعبت المفارقة بمستوياتها المختلفة التى تسيطر على كافة مستويات البنية النصية دوراً حيوياً فى النسيج النصى لـ«خطرة الطيف» مما حقق للنص تنوعاً واتساعاً، وقوة جاذبة وآسرة، وانسجاماً فنياً.

التوصيات

- وجوب إعادة النظر فى هذا الفن الرائع «أدب الرحلة» الذى غفلت عنه الأقلام المعاصرة وأهملت بنيته الموضوعية والفنية والتكوينية، باعتباره فناً من فنون المعرفة من كافة زواياها الموضوعية، له خصوصيته وخصائصه الفنية التى تميزه عن غيره من الأجناس الأدبية.
- سبر أغوار النصوص الرحلية التى تفتح مواضيع للبحث فى الأنا والآخر، والغربة والحنين فى أدب الرحلة، والنصوص الشعرية فى أدب الرحلة سماتها وخصائصها الفنية، والواقع والمتخيل فى أدب الرحلات وغيرها من مواضيع البحث.
- الاهتمام بالنصوص الدوارة فى أدب الرحلة وخصائصها الفنية.
- الموازنة بين نص الرحلة ونصوص المنافى وأدب الهجرة والتهجير والوقوف على أهم ما يميز كل منها.
- ضرورة الاهتمام بالدراسات المقارنة للنص الرحلى وسبر أغوار رؤى الأنا والأخر فى ضوئها وبيان أهمية النص الرحلى فى مد الجسور بين الأمم والشعوب أو فصمها.
- أهمية تناول النصوص الرحلية التى انتقاها واهتم بها المستشرقون لبيان صداها فى رسم صورة للأنا الإسلامية والعربية وترسيخها فى ذهن الأنا والآخر وصدى ذلك على الوعى بالذات الإسلامية والعربية على المستويين عبر العصور المختلفة من خلال دراسة مقارنة بين مستويات الواقع الملموس والواقع النصى.

الثبـــــت

أولاً: ثبت المصادر المراجع

١- ابن الخطيب من خلال كتبه/ محمد أبى بكر التطوانى، ط معهد مولاى الحسن بالمغرب ١٩٥٤م.
٢- ابن خرداذبة/ كوركيس عواد، مجلة الرسالة العدد (٤٥٦)، ١٩٤٢م.
٣- ابن مغاور الشاطبى «حياته وآثاره»/ محمد بنشريفة ط مط النجاح الجديدة بالمغرب ط ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.
٤- الإحاطة فى أخبار غرناطة/ لسان الدين ابن الخطيب تحقيق عبد الله عنان، ط مكتبة الخانجى بمصر ١٣٩٤هـ-١٩٨٨م.
٥- أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم/ أبو عبد الله بن أحمد المقدسى البشارى، ط مكتبة مدبولى، القاهرة، ط الثالثة ١٤١١هـ-١٩٩١م.
٦- أدب ابن خلدون/ أحمد الحوفى مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة جـ٣٠ سنة ١٩٧٢م.
٧- أدب ابن خلدون/ أحمد الحوفى مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة جـ٣٠ سنة ١٩٧٢م.
٨- الأدب الأندلسى موضوعات وفنونه/ مصطفى الشكعة، ط دار النهضة العربية – بيروت ١٩٧١م.
٩- أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى القرن التاسع الهجرى/ نوال عبد الرحمن الشوابكة، ط الأولى، ط وزارة الثقافة – عمان (الأردن) ٢٠٠٧م.
١٠- أدب الرحلات تطوره فى الأدب العربى/ أحمد أبو سعدة، ط منشورات دار الشرق الجديدة ١٩٦٢م.
١١- أدب الرحلات عند العرب فى المشرق، نشأته وتطوره حتى نهاية القرن الثامن الهجرى/ على محسن مال الله، ط مكتبة الإرشاد بغداد ١٩٧٨م
١٢- أدب الرحلات/ حسين محمد فهيم ط سلسلة عالم المعرفة عدد (١٣٨) الكويت ١٩٨٩م.

١٣- أدب الرحلة بالمغرب فى العصر المرينى/ الحسن الشاهدى منشورات عكاظ المغرب ١٩٩٠م.
١٤- أدب الرحلة فى التراث العربى/ فؤاد قنديل، ط ٢ مكتبة الدار العربية، القاهرة، ٢٠٠٢م.
١٥- أدب الرحلة بوصفه سرداً ثقافيا/ عبد الله إبراهيم جريدة الرياض بالمملكة العربية السعودية عدد الخميس ٢ صفر ١٤٣٢هـ، ٦ يناير ٢٠١١م، العدد (١٥٥٣٦)
١٦- أدب الرحلة عند العرب/ حسنى محمود حسين ط دار الأندلس بيروت ط الثانية ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
١٧- أدب الرحلة/ حسين نصار، ط الشركة المصرية العالمية للنشر، مكتبة لبنان ١٩٩١م.
١٨- أدب الرسائل فى الأندلس فى القرن الخامس الهجرى/ فايز فلاح القيسى، ط دار البشير، عمان، الأردن ط الأولى ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م
١٩- الأدب المغربى من خلال ظواهره وقضاياه/ عباس الجرارى، ط مكتبة المعارف بالمغرب ١٩٧٩م.
٢٠- الأدب النسوى فى المغرب (الأندلس) مجلة دعوة الحق مجلة شهرية تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب، عام ١٩٦٤م، العدد (٩٥).
٢١- أدبية الرحلة/ عبد الرحيم مؤذن، ط دار الثقافة الدار البيضاء ط أولى ١٩٩٦م.
٢٢- أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض/ أحمد المقرى، ط لجنة التراث الإسلامى بالمغرب ١٩٨٠م.
٢٣- الاستقصا لأخبار دور المغرب الأقصى/ أحمد بن خالد الناصى، تحقيق جعفر الناصى، ومحمد الناصرى، ط الدار البيضا، ودار الكتاب اللبنانى ١٩٥٤م.

٢٤- الإشارات إلى معرفة الزيارات/ أبو الحسن على بن أبى بكر بن على الهروى (ت٦١١هـ) ط مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، ط الأولى ١٤٢٣هـ.
٢٥- الاعتبار/ أبو مظفر أسامة بن مرشد ابن منقذ، _ت.٥٨٤هـ)، تحقيق وتقديم قاسم السامرائى، ط دار الأصالة للثقافة والإعلام ١٩٨٧م.
٢٦- الأعلاق النفيسة/ أبو على عمر بن رسته الأصبهانى، ت. (٣٠٠هـ) طبعة ليدن ١٨٩٢م.
٢٧- أعلام النساء/ عمر رضا كحالة، ط مؤسسة الرسالة بمصر.
٢٨- الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام/ للقاضى عباس بن محمد بن محمد إبراهيم السملالى المراكشى، ط المطبعة الملكية بالرباط ١٩٧٤م.
٢٩- الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر/ عبد اللطيف البغدادى، دراسة وتحقيق على محسن عيسى مال الله مط التعليم العالى ببغداد، منشورات دار الحكمة للنشر والترجمة والتوزيع بغداد ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٣٠- الإكسير فى فكاك الأسير/ محمد بن عثمان المكناسى، حققه وعلق عليه محمد الفاسى، منشورات المركز الجامعى للبحث العلمى الرباط ١٩٦٥م.
٣١- الأمالى/ أبو على القالى ط دار الكتب المصرية ١٩٢٦م.
٣٢- انفتاح النص إلى النص المترابط/ سعيد يقطين، ط المركز الثقافى العربى، ط أولى ٢٠٠٥م، ط ٢٠٠١.
٣٣- إيضاح المكنون فى كشف الظنون، هدية العارفين/ إسماعيل البغدادى، ط استانبول بتركيا ١٩٥١م.
٣٤- بدائع البدائه/ على بن ظافر الأزدى المصرى ط دار الطباعة الأميرية المصرية ١٢٨٧هـ.
٣٥- بناء الرواية/ سيد قاسم، ط دار التنوير – بيروت ١٩٨٥م.
٣٦- بنية النص السردى من منظور النقد الأدبى/ حميد الحمدانى، ط المركز الثقافى العربى، الدار البيضاء، بيروت ط٣ ستة ٢٠٠٠م.

٣٧- تاريخ ابن خلدون المسمى «العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر/ عبد الرحمن بن خلدون الحضرمى المغربى، ط دار الكتاب اللبنانى – بيروت لبنان ١٩٥٩م.

٣٨- تاريخ الأدب الجغرافى العربى/ أغناطيوس يوليا نوفتش كراتشكوفسكى ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، ط دار الغرب الإسلامى بيروت لبنان ط الثانية ١٩٨٧م.

٣٩- تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس/ حسين مؤنس بقلم جمال حمدان بمجلة المجلة العدد(١٤٥) سنة ١٩٦٩م.

٤٠- تاريخ الفكر الأندلسى/ أنخل جنثالث بالنثيا نقله عن الإسبانية حسن مؤنس، ط الأولى، ط مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٥م.

٤١- تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس/ السيد عبد العزيز سالم ط مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر بالإسكندرية ١٩٨٤م.

٤٢- تحفة الألباب ونخبة الإعجاب/ أبو حامد محمد الغرناطى، تحقيق قاسم وهب ط دار السويدى للطبع والنشر، الإمارات، ودار فارس للنشر عمان ط أولى ٢٠٠٣م.

٤٣- تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار/ أبو عبد الله اللواتى المعروف بـ«ابن بطوطة»/ راجعه درويش الجويدى مط المكتبة العصرية صيدا، بيروت ٢٠٠٤م.

٤٤- تحفة النظار فى غرائب الأمصار/ ابن بطوطة ط الأكاديمية المغربية الرباط ١٤١٧هـ.

٤٥- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة لأبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى الخوارزمى العلامة الرحالة (ت. ٤٤٠هـ) ط عالم الكتب بيروت لبنان ط ٢، ١٤٠٣هـ.

٤٦- تحليل الخطاب الشعرى: استراتيجية التناص/ محمد مفتاح، ط المركز الثقافى العربى بالرباط، ط الثالثة، ١٩٩٢م.

٤٧- تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار/ أبو الحسن محمد بن أحمد الكنانى الشهير بـ«ابن جبير»، ط دار صادر بيروت ١٩٥٩م.
٤٨- الترجمة الذاتية فى الأدب العربى الحديث/ يحيى إبراهيم عبد الدايم، ط مكتبة النهضة، القاهرة ١٩٧٥م.
٤٩- ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك/ لابن العذرى، تحقيق عبد العزيز الأهوانى ط معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ١٩٦٥م.
٥٠- تطور الأساليب النثرية فى الأدب العربى/ أنيس المقدسى، ط دار العلم للملايين بلبنان ط٩، ١٩٩٨م
٥١- التعريف بابن خلدون ورحلاته شرقاً وغرباً/ ابن خلدون علق عليها محمد بن تاويت الطنجى، وحررها وقدم لها نورى الحراد ط دار السويدى للنشر أبو ظبى، ودار الفارس بعمان، الأردن ٢٠٠٣م.
٥٢- التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً/ ابن خلدون، ط دار الكتاب اللبنانى – بيروت د.ت..
٥٣- التناص عند شعراء الصنعة/ ياسر عبد الحسيب رضوان ط مكتبة الآداب بالقاهرة، ط الأولى ١٤١٣هـ -٢٠١٠م.

٥٤- جدلية الزمن/ غاستو بناشلار، ترجمة خليل أحمد خليل، ط المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٩٨٢م
٥٥- جذوة الاقتباس فى ذكر من ح ل من الأعلام مدينة فاس/ أحمد ابن القاضى المكناسى، ط دار المنصور بالرباط ١٩٧٣م.
٥٦- جذوة المقتبس/ الحميدى تحقيق محمد بن تاويت الطنجى ط القاهرة ١٩٥٢م
٥٧- جغرافيا الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك، أبو عبيد بن عبد العزيز البكرى، تحقيق عبد الرحمن على الحجى ط دار الإرشاد بيروت ١٩٧٨م.

٥٨- الجغرافية والرحلات عند العرب/ نقولا زيادة مجلة الفكر العربى العدد (٥١) الخاص بـ «الرحلات العربية والرحّلات».
٥٩- جنة الرضا فى التسليم بما قدر الله ورضا/ يحيى بن عاصم، تحقيق صلاح جرار، ط دار النشر بالأردن ١٩٨٩م
٦٠- خزانة الأدب وغاية الأرب/ الشيخ تقى الدين أبى بكر على المعروف بـ«ابن حجة الحموى»، تحقيق عصام شعيتو، ط دار ومكتبة الهلال – بيروت ط الأولى ١٩٨٧م.
٦١- خصائص الأدب الجغرافى فى المغرب، أحمد حدادى، ندوة حول جوانب الأدب فى المغرب الأقصى، مجلة جامعة محمد الأول سلسلة ندوات ومناظرات المغرب١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
٦٢- خطاب الرحلة العربى ومكوناته البنيوية/ سعيد يقطين، مجلة «علامات فى النقد»، يصدرها النادى الأدبى بجدة، العدد التاسع، المجلد الثالث سبتمبر ١٩٩٣م.
٦٣- الخطاب الروائى/ باختين ترجمة محمد برادة ط دار الأمان بالرباط ١٩٨٧م.
٦٤- درة الحجال فى أسماء الرجال/ أحمد محمد المكناسى، تحقيق محمد الأحمدى أبو النور، ط دار التراث بمصر، ١٩٧٠م، جـ٢ ص٢٧١-٢٧٤.
٦٥- الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة/ أحمد بن على بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق محمد سيد جاد الحق، ط دار الكتب الحديثة بالقاهرة ١٣٨٥هـ-١٩٦٦م
٦٦- دولة الإسلام فى الأندلس الآثار الإسلامية الباقية فى أسبانيا والبرتغال/ محمد عبد الله عنان ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٦٧- دولة الإسلام فى الأندلس/ محمد عبد الله عنان، ط مكتبة الخانجى بالقاهرة.
٦٨- دولة الإسلام فى الأندلس (العصر الرابع نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين)/ محمد عبد الله عنان، الطبعة الرابعة، ط المدنى، نشر مكتبة الخانجى بالقاهرة، ١٤١٧هـ -١٩٩٧م.

٦٩- دينامية النص تنظير وانجاز/ محمد مفتاح، ط المركز الثقافى العربى بالرباط ط ٢، ١٩٩٠م.
٧٠- ديوان ابن دراج القسطلى/ تحقيق محمود على مكى، ط دمشق، ١٩٦١م.
٧١- ديوان ابن قلاقس/ ابن قلاقس راجعه وضبطه ومثله للطبع خليل مطران، ط مطبعة الجوائب، مصر ١٣٢٣هـ -١٩٠٥م.
٧٢- ديوان ابن اللبانة الدانى (مجموع شعره) جمع وتحقيق محمد مجيد السعيد ط ٢ دار الراية للنشر والتوزيع ١٤٢٩هـ -٢٠٠٧م.
٧٣- ديوان بهاء الدين زهير/ ط دار صادر بيروت لبنان ١٣٨٣هـ -١٩٦٤م.
٧٤- ديوان كشاجم/ دراسة وشرح وتحقيق النبوى شعلان، مكتبة الخانجى بالقاهرة، ط الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
٧٥- ديوان أبى نواس/ ط دار صادر، بيروت، (د.ت).
٧٦- ديوان النابغة الذبيانى/ اعتنى به وشرحه حمدو طمّاس، ط الثانية، ط دار المعرفة بيروت، لبنان ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
٧٧- ديوان لسان الدين ابن الخطيب/ تحقيق محمد مفتاح ط دار الثقافة للطبع والنشر بالدار البيضاء ط الأولى ١٤٠٩هـ، المجلد الأول.
٧٨- الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة، لابن بسام الشنتيرى، تحقيق إحسان عباس ط دار الثقافة بيروت لبنان ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م.
٧٩- الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى/ محمد عبد الغنى حسن، ط دار المعارف ١٩٥٥م.
٨٠- رحلات ابن فضلان إلى بلاد الترك والروس والصقالبة/ أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد، ط دار السويدى للنشر أبو ظبى، ط الأولى ٢٠٠٣م.
٨١- الرحلات السفارية المغربية/ محمد الفاسى، مجلة البينة عدد (٦) السنة الأولى ١٩٦٢م.

٨٢- الرحلات/ شوقى ضيف ط الثالثة ط دار المعارف بالقاهرة ١٩٧٩م، سلسلة فنون الأدب العربى الفن القصصى (٤).
٨٣- رحلة ابن جبير/ أبو الحسن بن محمد بن أحمد الكنانى (ت٦١٤هـ)، ط دار صادر بيروت للطباعة والنشر ١٩٦٤م.
٨٤- رحلة التجانى/ أبو محمد عبد الله بن محمد التجانى قدم لها حسن حسنى عبد الوهاب، ط الدار العربية للكتاب ليبيا، تونس ١٩٨١م.
٨٥- رايات المبرزين وغايات المميزين/ أبو الحسن بن موسى بن سعيد الأندلسى، حققه وعلق عليه محمد رضوان الداية، ط دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط الأولى ١٩٨٧م.
٨٦- رحلة العبدرى، المسماة الرحلة المغربية/ محمد العبدرى البلنسى، ط دار سعد الدين، دمشق ٢٠٠٥م.
٨٧- الرحلة المفهوم والجنس الأدبى/ عبد الرحيم مؤذن، جريدة طنجة الأدبية، عن شهر فبراير ٢٠٠٤م.
٨٨- الروض المعطار فى خبر الأقطار/ أبى عبد الله محمد عبد المنعم الحميرى، تحقيق إحسان عباس، ط الثانية، مطبعة هيدلبرغ، بيروت، نشر مكتبة بيروت – لبنان ١٩٨٤م.
٨٩- الروض الهتون فى أخبار مكناسة الزيتون/ ابن غازى، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط الثانية المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م
٩٠- ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب/ تحقيق محمد عبد الله عنان ط المطبعة العربية الحديثة – الناشر مكتبة الخانجى بالقاهرة ط الأولى ١٤٠١هـ – ١٩٨١م
٩١- الزمان والمكان فى الرواية/ عبد الرحيم مؤذن، منتدى معمارى للعلوم ٢ ديسمبر ٢٠١٢م.

٩٢- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس/ محمد بن جعفر الكتانى، ط المطبعة الحجرية بفاس بالمغرب، د.ت. جـ٣ ص١٨٧-١٩١.
٩٣- سير أعلام النبلاء/ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان بن قايماز (ت. ٧٤٨هـ) تحقيق مجموعة من المحققين تحت إشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط مؤسسة الرسالة ط الثالثة ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م.
٩٤- سير المفكرين الذاتية (زكى نجيب، لويس عوض، إحسان عباس، محمد عابد الجابرى) صدوق نور، ط المركز الثقافى العربى الدار البيضاء ٢٠٠٠م.
٩٥- السيرة الذاتية، الميثاق والتاريخ الأدبى/ لوجون فيليب، ترجمة عمر حلى، ط المركز الثقافى العربى، بيروت ١٩٩٤م.
٩٦- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب/ عبد الحى بن العماد العكبرى، ط دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م.
٩٧- شرح ديوان أبى الطيب المتنبى/ البرقوقى ط دار الكتاب العربى بيروت لبنان ١٩٨٠م.
٩٨- الشفا فى تعريف حقوق المصطفى/ عياض بن موسى بن عياض ابن عمرون ط دار الفيحاء بعمان، ط ٢، ١٤٠٧هـ.
٩٩- ظهر الإسلام/ أحمد أمين، ط مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٢م.
١٠٠- عتبات الكتابة مقاربة لمساق المحكى الرحلى العربى/ عبد النبى ذاكر، بحث مقدم ضمن «مجموعة البحث فى الأدب الشخصى» كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة أكادير بالمغرب ١٩٩٨م.
١٠١- علم النص/ جوليا كريستيفا، ترجمة فريد الزاهى، ط دار توبقال بالمغرب ط الأولى ١٩٩٣م.
١٠٢- العنوان والتعاقد التأويلى الوظائف والدلالات/ محمد باز مجلة طنجة الأدبية، يوليو العدد (٢٧) ٢٠١٠م.

١٠٣- فنون النثر الأدبى فى آثار لسان الدين ابن الخطيب المضامين والخصائص الأسلوبية/ محمد مسعود جبران، ط دار المدار الإسلامى – بيروت – لبنان ٢٠٠١م.
١٠٤- فى السيرة/ إحسن عباس، ط دار بيروت لبنان ١٩٥٦م.
١٠٥- فيض العباب وإفاضة قداح الآداب فى الحركة السعيدة إلى القسنطينة والزاب/ ابن الحاج الغرناطى أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله النميرى، ت. (٧٤٤هـ) دراسة محمد بن شقرون ط الرباط بالمغرب، ١٩٨٤م.
١٠٦- قلائد العقيان/ الفتح بن خاقان، تحقيق حسين يوسف خربوش، ط مكتبة المنار بالأردن ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م.
١٠٧- كتاب البلدان/ أبو عبد الله أحمد بن اسحاق الهمذانى المعروف بابن الفقيه، ت. (٣٦٥هـ، تحقيق يوسف الهادى، ط الأولى، ط عالم الكتب بيروت ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
١٠٨- كتاب البلدان/ أحمد بن إسحاق (أبى يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبى، ط دار الكتب العلمية –بيروت ١٤٢٢هـ.
١٠٩- كتابة الذات/ حاتم العسكر، ط دار الشروق عمان ١٩٩٤م.
١١٠- كتابة السيرة تاريخ أم أدب/ سهير القلماوى، مجلة العربى، عدد (١٧)، ١٩٦٠م.
١١١- الكتابة والوجود: السيرة الذاتية فى المغرب/ عبد القادر الشناوى، ط إفريقيا الشرق، بيروت ٢٠٠٠م.
١١٢- كتب الرحلات فى المغرب الأقصى/ عواطف بنت نواب، ط دارة الملك عبد العزيز بالرياض ٢٠٠٨م.
١١٣- لسان الدين ابن الخطيب فى آثار الدارسين/ حسن عبد الكريم الواركى، ط منشورات عكاظ، الرباط ١٩٩٠م.

١١٤- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء/ أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، (ت. ٥٠٢هـ) ط دار الأرقم بن أبى الأرقم – بيروت، ط أولى ١٤٢٠هـ.
١١٥- مروج الذهب ومعادن الجوهر/ المسعودى، (ت. ٣٤٦هـ)، تحقيق أسعد داغر، ط دار الهجرة ١٤٠٤هـ.
١١٦- المسالك والممالك (صورة الأرض)/ أبو القاسم محمد ابن حوقل البغدادى الموصلى، ط دار صادر بيروت مصورة عن ط ليدن ١٩٣٨م.
١١٧- المسالك والممالك/ ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله) (ت. ٢٨٠هـ)، ط دار صادر أفست ليدن، بيروت ١٨٨٩م.
١١٨- المسالك والممالك/ أبو عبيد بن عبد العزيز البكرى الأندلسى (ت.٤٨٧هـ)، ط دار الغرب الإسلامى ١٩٩٢م.
١١٩- مستويات السرد فى الرحلة المغربية خلال القرن التاسع عشر/ عبد الرحيم مؤذن، رسالة دكتوراه بالرباط عام ١٩٩٥م.
١٢٠- مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب فى بلاد المغرب والأندلس (مجموعة من رسائله)/ أحمد مختار العبادى ط جامعة الإسكندرية ١٩٥٨م
١٢١- مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب فى بلاد المغرب والأندلس (مجموعة من رسائله)/ أحمد مختار العبادى ط جامعة الإسكندرية ١٩٥٨م
١٢٢- مشوار كتب الرحلة قديماً وحديثاً/ سيد حامد النساج، ط مكتبة غريب للطباعة والنشر القاهرة.
١٢٣- معجم الأدباء/ ياقوت الحموى، ط دار الغرب الإسلامى– بيروت ط الأولى ١٩٩٤م.
١٢٤- معجم البلدان/ ياقوت الحموى تحقيق فريد عبد العزيز الجندى الطبعة الأولى ط دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ١٤٠١هـ–١٩٩٠م.
١٢٥- المعرب عن بعض عجائب المغرب/ أبو حامد الغرناطى، تحقيق اينغرد بيخاراتو، ط المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد ١٩٦١م.

١٢٦- معيار الاختيار فى ذكر المعاهد والديار/ لسان الدين ابن الخطيب تحقيق ودراسة محمد كمال شبانة ط مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م
١٢٧- المغرب فى حلا المغرب/ لابن سعيد، تحقيق شوقى ضيف، ط ٢ مط دار المعارف بمصر ١٩٦٤م.
١٢٨- مقال محيى الدين اللاذقانى بجريدة الشرق الأوسط العدد (١٥٣٤٤) - ١٩٩٣/٧/١٦م.
١٢٩- ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة فى الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة المعروفة برحلة ابن رشيد السبتى، (ت ٧٢١هـ) تحقيق محمد الحبيب بن الخواجة، ط الدار التونسية للنشر ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.
١٣٠- منافرات العدوتين (نص جديد)/ محمد بنشريفة، مجلة كلية الآداب بالرباط، العدد (١) يناير ١٩٧٧م
١٣١- نثير فرائد الجمان فى نظم فحول الزمان/ إسماعيل بن الأحمر، تحقيق محمد رضوان الداية، ط دار الثقافة - بيروت لبنان ١٩٦٧م.
١٣٢- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة/ ابن تغرى بردى، ط وزارة الثقافة والإرشاد القومى، ط دار الكتب المصرية، مصر، د.ت.
١٣٣- نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس/ أبو عبد الله بن محمد الإدريسى (ت ٥٦٠هـ)، ط مط بريل ليدن ١٩٦٨م.
١٣٤- نفاضة الجراب وعلالة الاغتراب/ جـ٢ تحقيق أحمد مختار العبادى ط دار الكاتب العربى، مصر ١٩٥٠م.
١٣٥- نفاضة الجراب وعلالة الاغتراب/جـ٣ تحقيق سعدية فاغية ط المطبعة الجديدة بالمغرب ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م.
١٣٦- نفح الطيب فى أخبار الأندلس الرطيب ووزيرها لسان الدين ابن الخطيب/ أحمد بن المقرى التلمسانى، تحقيق إحسان عباس، ط دار صادر بيروت ١٣٩٤هـ-١٩٨٨م.

١٣٧- نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب ووزيرها ابن الخطيب/ المقرى، تحقيق إحسان عباس ط دار صادر بيروت ١٩٩٧م.
١٣٨- نيل الابتهاج بتطريز الديباج/ التنبكتى إشراف عبد الحميد، الهرامة، ط دار الكاتب، طرابلس، ليبيا ٢٠٠٠م، ص٤٤٥.
١٣٩- وفيات الأعيان/ لابن خلكان، تحقيق إحسان عباس ط دار صادر بيروت - لبنان ١٩٧٤م.

ثانياً: ثبت الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٦٦٥
التمهيد	٦٦٧
أدب الرحلة	٦٦٧
أشهر الرحلات فى المشرق	٦٦٨
أشهر الرحلات فى الغرب الإسلامى	٦٧١
أشهر الرحلات فى القرن الثامن الهجرى	٦٧٤
المبحث الأول: أدب الرحلة لدى لسان الدين ابن الخطيب بواعثه وأنواعه ومصادره	٦٧٧
أدب الرحلة لدى لسان الدين ابن الخطيب	٦٧٧
بواعث ودواعى الرحلة لدى لسان الدين ابن الخطيب	٦٨٥
أنواع الرحلة	٦٨٦
مصادر الرحلة	٦٨٧
المبحث الثانى: بناء رحلة «خطرة الطيف» وموقع السارد فيها.	٦٩٢
أولاً: عتبة النص	٦٩٣
العنوان	٦٩٣
التقديم للرحلة	٦٩٥
التمهيد	٦٩٥
البداية ونقطة الانطلاق	٦٩٧

الموضــوع	الصفحة
رحلة الذهاب مراحلها ومحطاتها	٦٩٨
رحلة الإياب مراحلها ومحطاتها	٧٢٠
نهاية الرحلة	٧٢٥
اللوحة الختامية والتأريخ لانتهاء الرحلة	٧٢٥
المبحث الثالث: خطاب الرحلة سماته وخصائصه الفنية	٧٢٧
السمات والخصائص الفنية التى تتفق مع أحدث الرؤى النقدية	٧٢٧
السمات والخصائص الفنية الخاصة	٧٤٦
الخاتمة	٧٨٦
أهم النتائج	٧٨٦
التوصيات	٧٩٠
ثبت المصادر والمراجع	٧٩١
ثبت الموضوعات	٨٠٤